

١٦٠

حكايات

رئيس التحرير أنيس منصور

د. سيد محمد غنيم

الشخصية

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

تعريف الشخصية

لفظ الشخصية من الألفاظ الدارجة على لسان كثير من الناس . فنحن نسمع إنساناً يتحدث عن إنسان آخر بأنه « شخصية محبوبة » ، أو أنه « شخصية عدوانية » ، أو « شخصية جذابة » ، أو « شخصية ضعيفة » ، أو « لا شخصية له » ، أو أن « له شخصيات متعددة » . ولشروع اللفظ على ألسنة الناس ، أصبح يبدو لنا بسيطاً ومفهوماً ولا يحتاج منا إلى تفسير وتحديد ، وقد يكون ذلك مقبولاً في محيط الحياة العامة .

ولكن علم النفس لا يرتضيه أن يقف عند حد هذه الانطباعات العامة الدارجة ، بل يتطلب منا أن نحدد اللفظ تحديداً علمياً دقيقاً ، وقد حاول الباحثون في الشخصية وضع تعريفات لهذا المصطلح ، ولم يصلوا إلى تعريف واحد مقبول منهم جميعاً .

ولذا ظهرت مجموعة من التعريفات المختلفة التي تختلف من باحث إلى آخر ، ومن هنا أصبح من الضروري تحديد مدلول اللفظ ، إذ هو في الواقع غير محدد في أذهان الكثيرين ، على عكس ما يبدو لمعظم الناس . وتعريف الشخصية مسألة افتراضية . فليس هناك تعريف واحد

صحيح ، والباقي تعريفات خاطئة ، والوقوف عند تعريف مقبول يرتضيه الباحث ، يقتضى منه دراسة مختلف التعريفات التى وضعت لدراسة الشخصية ، ومن الطبيعى أن يكون لمصطلح واسع الانتشار كالشخصية « تعريفات متعددة مختلفة » .

وقد أورد « جوردون ألبرت » فى كتابه « الشخصية » الذى نشره عام ١٩٣٧ ، ما يقرب من خمسين تعريفاً أو معنى مختلفاً للشخصية . وبعض هذه المعانى لاهوتى ، وبعضها فلسفى ، وبعضها اجتماعى ، وبعضها سيكولوجى .

ويذهب غالبية الباحثين إلى أن لفظ Personality بالإنجليزية ، أو Personalité بالفرنسية ، مستمد من لفظ Persona بـرسونا فى اللاتينية القديمة ، ويتفق الجميع على أن لفظ « بـرسونا » يعنى القناع ، ولقد ارتبط هذا اللفظ بالمرح اليونانى القديم ، إذ اعتاد ممثلو اليونان والرومان فى العصور القديمة ارتداء أقنعة على وجوههم لكى يعطوا انطباعاً عن الدور الذى يقومون بتمثيله ، وفى الوقت نفسه لكى يجعلوا من الصعب التعرف على الشخصيات التى تقوم بهذا الدور .

فالشخصية كان ينظر إليها من ناحية ما يعطيه قناع الممثل من انطباعات أو من ناحية كونها غطاء يخفى وراءه الشخص الحقيقى ، ويتفق هذا القول مع التعريفات التى تنظر إلى الشخصية من ناحية الأثر الخارجى الذى يحدثه الفرد فى الآخرين أكثر مما ينصب على ما هنالـك

من تنظيم داخلي لدى الفرد .
 ومع مرور الزمن أطلق لفظ « برسونا » على الممثل نفسه أحياناً ،
 وعلى الأشخاص عامة أحياناً أخرى ، وربما كان ذلك على أساس أن
 « الدنيا مسرح كبير » وأن الناس جميعاً ليسوا سوى ممثلين على مسرح
 الحياة .

لقد ورد لفظ الشخصية في كتابات « ششرون » المشرع الروماني
 القديم بأربع معاني مختلفة ، تستمد جذورها من فكرة المسرح هذه .
 والجدير بالذكر أن هذه المعاني تتضمن جميع الأفكار الحديثة لهذه
 الكلمة ، فالشخصية يمكن النظر إليها باعتبارها :

(أ) الفرد كما يبدو للآخرين وليس ما هو عليه في الحقيقة ، وهي
 بهذا المعنى تتصل بالقناع .

(ب) مجموع الصفات الشخصية التي تمثل ما يكون عليه الفرد في
 الحقيقة ، وهي بهذا المعنى ترتبط بالممثل نفسه .

(ج) الدور الذي يقوم به الفرد في الحياة سواء كان دوراً مهنيّاً ،
 أو اجتماعياً ، أو سياسياً .

(د) الصفات التي تشير إلى المكانة والتقدير والأهمية الذاتية ، وهي
 بهذا المعنى تشير إلى المركز الذي يشغله الفرد ، حين نتحدث مثلاً عن
 شخص ما ونصفه بأنه « شخصية كبيرة » وبسبب هذه الدلالة ذات
 الصلة بالقيم ، فإننا لا نقابل مثل هذا التعريف الأخير عادة بين

التعريفات العلمية ، وإن كنا نقابله في الاستعمال الدارج حين نشير إلى شخصية ما ذات مكانة وحيثية .

ولقد اكتسب لفظ الشخصية في اللغة الدارجة معانٍ كثيرة مختلفة ، كما عرف أيضاً تعريفات علمية كثيرة ، وإذا نظرنا إلى التعريفات الدارجة نجد أكثرها شيوعاً هي تلك التي تنظر إلى الشخصية من حيث قدرة الفرد على التأثير في الآخرين ، وذلك على نحو ما يتضح مثلاً حين نتحدث عن شخص ما بأنه قوى الشخصية ونقصد بذلك أن له تأثيراً قوياً واضحاً على الأشخاص الآخرين الذين يتصل بهم .

وكان من الطبيعي أن يرتبط بمثل هذه التعريفات بعض الصفات الأخرى مثل العدوانية ، فالشخصية القوية قد تتضمن أن لديه من القوة ما يجعله يفرض نفسه على الآخرين ، أما الشخصية الضعيفة فإن من السهل التأثير عليها ، أو بعبارة أخرى أنها تفتقر إلى نواحي القوة التي تمكنها أن تفرض تأثيرها على الغير .

وإلى جانب هذه التعريفات الدارجة ، هناك تعريفات أخرى علمية ، ويجدر بنا أن نشير إلى أن بعض هذه التعريفات التي قدمها علماء النفس ، قد تكشف لنا عن الاتجاهات التي يسير فيها تفكير هؤلاء العلماء في نظرهم للشخصية ، فقد عرفها البعض بأنها « مجموع ما لدى الفرد من استعدادات ودوافع ونزعات وشهوات وخواص فطرية وبيولوجية ، وكذلك ما لديه من نزعات واستعدادات مكتسبة .

وقد نظر إليها البعض بأنها أسلوب التوافق العادى الذى يتخذه الفرد بين دوافعه الذاتية المركز ومطالب البيئة ، أما أصحاب النظرة الاجتماعية فقد نظروا إلى الشخصية باعتبارها « استجابات الفرد المميزة للمثيرات الاجتماعية وكيفية تواقه مع المظاهر الاجتماعية فى البيئة » .
ونظرة إلى التعريفات التى قلمها بعض علماء النفس نجد أنها تتمايز فى مجموعتين :

إحدهما تنظر إلى الشخصية « كمثير » ، أى من حيث قدرة الفرد على إحداث التأثير فى الآخرين .

والثانية تنظر إلى الشخصية « كاستجابة » أى من حيث السلوك الذى يستجيب به الفرد ، وما يقوم به من أفعال فى المواقف البيئية المختلفة ، وقد لا يكون ثمة تعارض حقيقى بين هاتين المجموعتين . فتأثير فرد ما فى الآخرين وقيمة هذا التأثير ، إنما هو دالة لسلوكه واستجاباته أيضاً .
ولكن النقد الذى يمكن أن يوجه إلى مثل هذه التعريفات هو أنها تؤكد الجوانب السطحية الظاهرية للشخصية ، أى أنها تعريفات أقرب إلى التعريف بالاعتناع أو المواجهة التى تحدث أثرها فى الآخرين ، على حين أنها تغفل جوهر الشخصية ، أو تنظيمها الداخلى الذى يمكن وراء هذه المواجهة ، ولذا اتجهت التعريفات العلمية الدقيقة إلى دراسة التنظيم الداخلى للشخصية والذى يمكن أن نستدل عليه من السلوك الظاهرى للفرد ..

ويمكن أن نشير في هذا الصدد إلى تعريف «جوردون ألبرت»
للشخصية والذي عرفها بقوله : « هي ذلك التنظيم الدينامي الذي يكمن
بداخل الفرد ، والذي ينظم كل الأجهزة النفسية الجسمية التي تملى على
الفرد طابعه الخاص في السلوك والتفكير » ، وترجع أهمية هذا التعريف
الأخير من ناحية أنه يركز على ناحية التنظيم الداخلي لأجهزة الفرد النفسية
الجسمية أكثر من اهتمامه بالمظاهر السطحية الظاهرية ، كما يهتم بالطابع
المميز للفرد وكذلك تكيفه مع البيئة المحيطة به .

محددات الشخصية

أولا : المحددات التكوينية (البيولوجية)

يميل البعض إلى القول بأن « الطبيعة الإنسانية » اجتماعية في أساسها ، وأن المحدد البيولوجي للسلوك يمثل القدر المشترك بين الإنسان والحيوانات الأخرى ، ومع ذلك يجب أن تؤكد منذ البداية أن التأثيرات الاجتماعية يمكن أن تحدث أثرها في الكائن الحي البيولوجي ، مثلما تحدث الاختلافات في التكوين البيولوجي والجسمي للفرد ، اختلافات في استجاباته للظروف الاجتماعية التي يعيش فيها ، ولذا - فحتى علم النفس الاجتماعي - لا يمكنه أن يغفل أهمية الجوانب البيولوجية في الشخصية . ويركز أنصار هذا الاتجاه البيولوجي في دراستهم للشخصية اهتمامهم على مجالات متعددة أهمها :

١ - دراسة الوراثة : فالأفراد يختلفون بعضهم عن بعض تحت تأثير العوامل الوراثية ، وبصرف النظر عن الظروف والتأثيرات البيئية المحيطة

٠٣٣

٢ - الأجهزة العضوية كالجهاز العصبي المركزي والجهاز العصبي المستقل ووظائفها وعلاقة ذلك بأنماط الشخصية .

٣ - التكوين البيوكيميائي والغدى للفرد .
وسوف نشير باختصار إلى كل نقطة على حدة :

١ - الوراثة :

الكائنات الإنسانية - شأنها في ذلك شأن غيرها من الكائنات الحية - تخضع لقوانين الوراثة ، أما ما هي هذه القوانين ، وإلى أى مدى تحدث أثرها في النواحي الجسمية والعقلية ، والمزاجية ، والشخصية ، فهذا ما بدأ العلم يكشف عن بعض خفاياه منذ أيام « تشارلس دارون » ، و « جريجور مندل » وهذه المسألة بالغة التعقيد ، ولا يسعنا إلا الاعتراف مع « دارون » بأن موضوع الوراثة كله موضوع عجيب ، وقد يظهر الكثير من الخلط بين الباحثين في الدور الذى تقوم به الوراثة في تحديد السلوك ، ولعل مرجع ذلك هو افتقارهم إلى الكثير من الحقائق المناسبة في هذا المجال .

ولقد احتدم النقاش بين أنصار الوراثة ، وأنصار البيئة ، وحاول كل فريق أن يدافع عن وجهة نظره ويبين أهميتها في تحديد الشخصية ، وفي نفس الوقت يقلل من قيمة العوامل الأخرى .

وكان من نتيجة التقدم السريع الذى أحرزه علم البيولوجيا وعلم الطب وتأثرهما بنظرية « دارون » خلال المائة سنة الأخيرة ، أن اتخذ أنصار الوراثة موقفاً متطرفاً وأكدوا تأكيداً قاطعاً أهمية العوامل الوراثية

في تحديد الشخصية ، فذهب البعض إلى القول بأن الوراثة - وليست البيئة - هي الصانع الرئيسي للإنسان . . بل إن من الممكن القول بأن كل ما يطرأ على هذا العالم من تعاسة أو هناء لا يرد إلى البيئة ، فالفروق التي توجد بين الناس ، إنما ترجع إلى الاختلاف في الخلايا الجرثومية الموروثة التي يولدون مزودين بها ، وعلى هذا الأساس تعتبر الشخصية « معطاة بشكل محدد من الولادة » .

أما أنصار البيئة فقد ردوا على هذا الموقف المتطرف ، بموقف متطرف كذلك ، ويتمثل ذلك في تلك العبارة المشهورة لعالم النفس الأمريكي « وطن » والتي يقول فيها : « أعطوني مجموعة من الأطفال الأصحاء سليمي البنية ، وأنا أكفيل أن أخرج منهم الطيب ، والحامي ، والفنان ، والتاجر ، ورئيس العمل ، بل والشحاذ ، واللص ، بصرف النظر عن استعداداتهم وميولهم وقدراتهم وأعمال آباءهم وأصولهم الموروثة ، فليس ثمة شيء اسمه وراثة القدرات أو المهارات أو المزاج أو التكوين العقلي . . الخ » .

ومن الممكن القول بأن معظم علماء النفس يميلون إلى توكيد العوامل البيئية ، برغم أنهم لا يصوغون عباراتهم في صيغ متطرفة على النحو الذي وجدناه عند « وطن » . وقد يكون السبب في تبنيهم هذا الاتجاه ، ما يكون عليه الطفل في بداية أمره من مرونة وسرعة تعلم وبسرعة اكتساب الكثير من العادات عن طريق « الاقتران الشرطي » ،

أوعن طريق غيره من عمليات التعلم .
 هذا بالإضافة إلى تفضيل العلماء الرجوع إلى الأسباب الظاهرة ،
 بدلا من الأسباب الخفية غير الظاهرة ، فهم يميلون في كل حالة تقريبا
 إلى عزو خصائص الشخصية إلى « الاقتران الشرطي » والتقليد ، وغيره
 من صور التعلم ، وهي جميعها عمليات ظاهرة يمكن إخضاعها للدراسة
 والتجريب ، ولما كانت التغيرات المحتملة في المؤثرات البيئية لا حصر لها
 من حيث العدد ، فمن الممكن الآن أن نرجع إليها جميع الاختلافات
 التي توجد بين الناس ، دون التورط في البحث عن تفسيرات خفية
 وغيبية عن طريق الوراثة .

والحقيقة أن أنصار الوراثة لا يذهبون إلى أن الشخصية مورثة ، بل
 يميلون إلى القول بأنه ليس ثمة مظهر من مظاهر الشخصية يمكن أن يخلو
 من تأثيرات الوراثة التي تحملها الجينات ، ومعنى ذلك أيضا ، أنه إذا
 كانت كل خاصية تتأثر إلى حد ما بالجينات ، فمن الممكن أن تتأثر أيضا
 بالظروف البيئية المحيطة ، مادية واجتماعية .

ومن هنا يمكن القول بأن السمة . . جسمية كانت أو عقلية
 أو مزاجية - لا يمكن أن تُعزى إلى العوامل الوراثية وحدها أو إلى
 العوامل البيئية وحدها ، وإنما إلى تفاعل هذين العاملين معاً . وهما
 متضامنان معاً منذ بداية الحياة .

وللتقدير الكامل لهذه الحقيقة ، يجب أن نشير إلى أن بيئة الفرد التي

نعنيها هنا تبدأ منذ اللحظة الأولى للحياة داخل الرحم ، وليست قاصرة فحسب - على نحو ما قد يفهم البعض أحياناً - على البيئة الخارجية بعد الولادة ، فالبيئة داخل الرحم - وهي التي تتحدد بشكل أولى بالنواحي الفسيولوجية للأم - تلعب دوراً هاماً في الحياة الجنينية للطفل .

فالخلية الناتجة بعد الإخصاب وما تحمله من مورثات من جانب كل من الأم والأب ، لا يمكن أن يكتب لها الحياة ما لم تتوفر لها مثل هذه البيئة الخاصة داخل الرحم بما فيها من حرارة ووقاية وتغذية ودفء إلخ . ومن المعروف أيضاً أن إصابة الأم بالحصبة الألمانية في الأسابيع الأولى من الحمل ، قد ينجم عنها إصابة الطفل بالصمم أو العمى .

ومع أن أية سمة هي نتيجة التفاعل المتبادل بين العوامل الوراثية والبيئية ، فإن الدور الذي تقوم به هذه العوامل يختلف من سمة إلى أخرى . فنحن نكون أميل إلى البحث عن العوامل الوراثية من أجل تفسير لون العينين أو لون البشرة ، في حين أننا نكون أميل إلى الرجوع إلى البيئة لفهم أساليب اللغة التي يستخدمها الطفل أو سلوكه الجانح أحياناً .

وفي ضوء ما سبق يمكن القول بأن الشخصية : هي دالة أو وظيفة للعوامل الوراثية والبيئية معاً ، وأن العلاقة بين هذين العاملين ليست علاقة إضافة أو جمع ، بل هي علاقة ضرب وخصايل ضرب ، بمعنى أنه إذا كان أحد طرفي العلاقة يساوى صفراً - أي ليس له وجود - كانت النتيجة تساوى صفراً كذلك ، ولا يكون ثمة وجود بالتالي

للشخصية وهذا ما عبر عنه بعض علماء النفس بقولهم : إن الشخصية دالة (الوراثة) × (البيئة) .

ميكانزمات الوراثة :

دراسة ميكانزمات الوراثة عند الإنسان محوطة بالصعوبات ، وذلك لتعذر إخضاعها للتجريب ، وإذا كانت تجارب السلالات على الحيوان قد كشفت عن بعض النتائج ، فإن من الصعب إجراء ما يماثلها على الإنسان ، وحتى إذا تيسر القيام بذلك ، فثمة صعوبات أخرى تواجهنا في هذا الصدد ، منها أن الإنسان أبطأ في إنتاجه من الحيوان مما يجعل دراسة السلالات الإنسانية تحتاج إلى أجيال متعاقبة إذا قورنت بما تحتاج إليه دراسة السلالات الحيوانية - عند الفيران مثلاً - من وقت قصير نسبياً ، ومن هنا فإن الكثير من معلوماتنا عن الوراثة مستمدة من كائنات حية أخرى غير الإنسان .

ومن المعروف أن الخصائص التي يرثها الإنسان تتحدد منذ اللحظة الأولى التي يتم فيها اتحاد البويضة الأنثوية بالحيوان المنوي الذكري . وهذه الخصائص تتوقف على الجينات التي هي حملة الاستعداد الوراثي عند الفرد ، والتي هي بقع صغيرة مستديرة توجد على الكروموزومات . وتتكون الخلية من ٤٦ كروموزوماً نصفها مورث من جانب الأم ، ونصفها الآخر من جانب الأب .

فهناك إذن ٢٣ زوجاً من الكروموزومات ، وكل واحد من هذه الأزواج يأتي من جانب أحد الأبوين ، ومن المعروف أن ٢٢ زوجاً منها غير محدد للجنس ، أما الزوج المتبقى فهو المسئول أساساً عن جنس الفرد . وتعطى الأم دائماً ما نسميه باسم الكروموزوم ، أما الأب فقد يعطى إما كروموزوم الجنس X أو كروموزوم الجنس Y ، فإن أعطى الكروموزوم X كان الجنين أنثى ، وإن أعطى الكروموزوم Y كان الجنين ذكراً ، ولذا فليست الأم مسئولة - على عكس الاعتقاد السائد عند عامة الناس - عن نوع الجنين .

والجين السائد هو الذى يحدد الخصائص المحددة بصرف النظر عن الجين المتنحي الذى يقترن به ، أما الجين المتنحي ، فهو على العكس ، يجب أن يتراوح من جين آخر من نفس النوع قبل أن تتاح الفرصة للخصائص المرتبطة به أن تظهر إلى حيز الوجود ، وهناك مجموعة من السمات يكون لها الغلبة باستمرار ، فاللون الأسود للعينين يكون له الغلبة على اللون البنى أو الأزرق ، كما أن الشعر المجعد يسود على الشعر المسترسل

بعض الأساليب التى استخدمت فى دراسة النواحي الوراثية عند الإنسان :

(١) شجر العائلة : لقد لجأ الباحثون إلى عدة طرق لدراسة الوراثة

عند الإنسان أولها الملاحظة المباشرة للعائلة ، وقد يما كانت الدراسات التي من هذا النوع تشمل أعداداً كبيرة من الأقارب ، ولكن الباحثين المحدثين لا يذهبون إلى مثل ذلك دائماً ، فمن الممكن الوصول إلى معلومات مفيدة من دراسة أعداد قليلة من أفراد الأسرة وإخضاعهم للملاحظة الدقيقة ، وتقل الأخطاء إلى أكبر قدر ممكن إذا اقتصرَت الدراسة على هؤلاء الأفراد الذين يمكن ملاحظتهم بدقة ، وهناك مجموعات مزدوجة يكون لها أهمية في البحث : كالأخ والأخت أو الوالدين والطفل .

(ب) التوائم : ومن أهم الدراسات وأمتعتها - وإن لم تكن دائماً قاطعة - تلك التي تجرى على التوائم ، وطرق التحليل هنا تتطلب المزيد من الدقة قبل القيام بأية استدلالات ، لأن بيئة التوائم المتشابهة - التي هي في الأصل بويضة واحدة انقسمت قسمين - يحتمل أن تكون أكثر تشابهاً في بيئات الإخوة العاديين ، وقد اقترح جالتون مقارنة التوائم المتشابهة بالتوائم غير المتشابهة - وهما بويضتان خصبتا في وقت واحد - من أجل دراسة آثار كل من البيئة والوراثة ، وقد تم إجراء الكثير من الدراسات على توائم هذين النوعين من التوائم ، ومن الممكن الآن تصنيفها بدرجة كبيرة من الدقة .

والواقع أنه « إذا ما قدرنا أن سمّة ما موروثة كلية ، فلا بد عندئذ من

أن تظهرها التوائم المتشابهة بنفس الدرجة من الدقة ، في حين أن التوائم غير المتشابهة - وهي تقاسم السمات الموروثة بدرجة أقل بكثير - لا بد أن يختلف كلا التوأمين كثيراً عن بعضهما بالرغم من أن هذا الاختلاف أقل بالطبع من الموجود بين أناس لا تربطهم ببعض رابطة ، أما إذا كانت السمة لا ترجع بأي حال إلى الوراثة - حيث تكتسب البيئة بالنسبة لها كل الأهمية - فإن التوائم المتشابهة يتظر ألا تبدى أى تشابه يزيد عما لدى التوائم غير المتشابهة ، وتثار المشكلة بشكل ظاهر حين نواجه بِسْمَةِ متحد جزئياً بالوراثة وجزئياً بالبيئة . ففي مثل هذه الحالة ، لا بد أن تكون التوائم المتشابهة أكثر تطابقاً من التوائم غير المتشابهة ، ولكن الاختلاف سيكون أقل مما لو كانت السمة موروثة كلية ، وفي إمكاننا أن نستخدم الاختلاف في التطابق بين التوائم المتشابهة في جانب ، والتوائم غير المتشابهة في جانب آخر ، لكي نقدر بدقة ما للوراثة من أهمية في تحديد هذه السمة .

(ح) وراثة بعض السمات العادية : ومن السمات العادية التي درست على نطاق واسع .. الذكاء ، والمهارات ، والاستعدادات الخاصة ، وكانت الدراسات القديمة في هذا المجال تعتمد على التقديرات النوعية ، أو الكيفية ، ومع ظهور اختبارات الذكاء واختبارات الاستعدادات والمهارات وتقدم الأساليب الإحصائية المختلفة ، أصبح

من المسور اليوم الوصول إلى تقديرات كمية أكثر دقة . وظهرت دراسات عدة على التوائم المتشابهة وغير المتشابهة ، وعلى الإخوة العاديين والأقارب من درجات مختلفة ، وعلى أفراد لا تربطهم ببعض أية رابطة قرابة ، فمثلا وجد الباحثون أن درجة الارتباط بين ذكاء التوائم المتشابهة ، أعلى منها لدى التوائم غير المتشابهة ، وهذه أعلى منها لدى الإخوة العاديين ، وبالمثل أجريت دراسات مشابهة على المهارات والاستعدادات الخاصة ، ومن ذلك مثلاً القدرة الموسيقية التي تظهر في بعض الأحيان في أجيال متعددة لدى بعض الأسر .

(د) وراثية الانحراف الاجتماعي لدى بعض الأسر : ومن بين الأسر التي درست على نطاق واسع وتبعها العلماء جيلا بعد جيل ، أسرة عرفت بوراثنة بعض مظاهر الانحراف والضعف العقلي ، وهي أسرة « الكاليكاك » ، وتنسب هذه الأسرة إلى الجد الأكبر « مارتن كاليكاك » وكان جندياً في جيش التحرير بأمريكا ، وقد اتصل هذا الرجل بفتاة ضعيفة العقل وأنجب منها طفلاً خرج ضعيف العقل .

بعد الحرب تزوج من فتاة من أسرة عادية وأنجب منها طفلاً كان عادياً ، وقد تتبع الباحثون سلالة كل فرع لما يقرب من مائتي عام ، وقد لاحظوا أن الفرع الذي يسمى إلى الجد ضعيف العقل لم يكن به من العاديين سوى عدد قليل جداً ، أما الباقون فكانوا من ضعاف العقول

والجرمين والخارجين على القانون ، أما الفرع الآخر فلم يكن به من الشواذ سوى عدد قليل جداً على حين أن الباقي كانوا من قادة المجتمع وساسته ورؤسائه .

غير أن مثل هذه الدراسات جميعها ، يجب أن تؤخذ نتائجها بشيء ، كثير من الحذر ، لأن معايير التلاؤم الاجتماعى تختلف من بيئة إلى أخرى ، ولأن البيئة ذاتها تعتبر عاملاً هاماً جداً فى تشكيل شخصية الفرد فيما يتصل بتزعاته المضادة للمجتمع ، ففى المثال السابق الخاص بأسرة «الكاليكاك» ، كان الاحتمال كبيراً أن يترع عدد كبير من الأفراد ، من أفراد الفرع الأول إلى الإجرام والخروج على القانون ، لأن البيئة التى نشأ فيها هذا الفرع كانت فقيرة ولا تسمح بالتقدم فى مجال الحياة أو التعليم والترقى ، على حين أنه قد أتاحت أمام أفراد الفرع الثانى العادى فى ذكاته فرص التعلم والتقدم والترقى ، وهذه جميعها عوامل تودى إلى رفع المستوى الاقتصادى والاجتماعى لأفراد هذه المجموعة .

ويمكن أن نختتم حديثنا عن الوراثة بقولنا : إن لكل فرد منا نمطاً وراثياً فريداً ، أعنى أساساً وراثياً لهذه الشخصية الفريدة النامية ، والنظرة الحديثة فيما يتعلق بالتأثيرات الوراثة ، هى أنها يمكن أن تحدد الصفات العامة ، أو صفات الجماعة ، أو الصفات المميزة للفرد ، فنحن جميعاً بشر بحكم وراثتنا ، ونحن بيض أو سود ، طوال القامة أو قصار القامة بحكم وراثتنا ، كما أن لنا وجوهنا وأصواتنا وملاحظنا الأخرى المميزة

أيضاً بحكم محدداتنا الوراثة .

غير أن مثل هذا القول لا ينفى الدور الذى تقوم به البيئة ، فحتى التوائم المتشابهة يوجد بينها بعض الفروق التى ترجع إلى التعلم والتأثيرات الاجتماعية الأخرى ، وكلما أصبحت الوظائف أكثر تعقيداً ، زادت الفروق التى يمكن أن تُعزى إلى البيئة ، فالترعة إلى التأثير السريع بالخوف يمكن أن تُعزى إلى الوراثة ، ولكن عدد الأشياء التى تثير الخوف والقلق ، وعدد مرات الانسحاب من المواقف العادية يمكن أن تتأثر تأثراً عميقاً بواسطة عملية التعلم والاكتساب من البيئة .

٢ - الأجهزة العصبية وعلاقتها وظائفها بأنماط الشخصية :

ولنتقل الآن إلى النقطة الثانية من المحددات البيولوجية ، ومن المعروف أن للتدييات جهازاً عصبياً مركزياً C.N.S. يتكون أساساً من مسالك عصبية طويلة تصل ما بين كل أجزاء الجسم والمخ . وبالإضافة إلى الجهاز العصبى المركزى ، هناك الجهاز العصبى المستقل A.N.S. ، الذى يختص بأنشطة لا إرادية معينة لازمة لاستمرار حياة الكائن الحى . فهو مثلاً الذى ينظم دقات القلب ويجعلنا نستمر فى التنفس ونحن نيام ، وهو الذى يتحكم فى مساحة إنسان العين كرد فعل للضوء الساقط على العين ، كما أنه هو الذى يتحكم فى درجة توصيل الجلد للكهرباء ، فيزيدها فى حالة الاضطراب أو الانفعال أو الخطر ، ويقللها فى حالة السكينة .

وأهمية الجهاز العصبي المستقل من الواجهة النفسية تكمن في ارتباطه
بمخالات الانفعال التي نتعرض لها ، ففي حياتنا - كما في حياة كثير من
الحيوانات - قد تعوق حالات الخوف الزائدة مثلاً عملية الهضم ،
أو تريد في رغبة الكائن الحي في الجرى والهرب ، وطبيعي أن هناك نوعاً
من التوازن القائم بين حالات الانفعال هذه ، وبين قدرة الجسم على
توفير القوة اللازمة للقيام بالاستجابات المناسبة معها ، فإذا لم تتوفر
للكائن الحي الطاقة اللازمة للجرى فإنه لن يستطيع من مواجهة المواقف
الانفعالية التي تتطلبه ، وإذا هو حاول ذلك فلن يتمكن من الابتعاد .
ومن أهم العمليات النفسية التي يضبطها هذا الجزء من جهازنا
العصبي ، ما يتعلق بتنظيم فيزيائية الجسم في حالات الخطر ، إذ يقوم
بإصدار الأوامر لتقوية الدورة الدموية وارتفاع ضغط الدم ، وإطلاق
كميات كبيرة من مخزون السكر في الكبد وإثارة هرمونات الغدة فوق
الكظرية ، كما يصبح التنفس أكثر سهولة ، كما يقوم بتأخير عمليات
الهضم ليوفر جهداً ويحولها إلى جهة أخرى أكثر إلحاحاً .
والجهاز العصبي المستقل ينقسم بدوره إلى قسمين : السمبتاوى ،
والباراسمبتاوى - الأول هو جهاز الطوارئ الذي يعد الكائن الحي للقتال
أو الهرب ، ويوقف عمليات الهضم ، ويزيد من دقات القلب ومن
معدل سرعة التنفس ، أى هو الذى يعد الجسم بطرق مختلفة لمواجهة
الأوضاع الخطيرة التي تواجه الفرد ، أما الجهاز الباراسمبتاوى فعمله

متناقض مع عمل الجهاز السمبتاوى ويؤدى آثاراً عكسية تماماً . فهو الذى يبطئ من سرعة التنفس ويقلل من دقات القلب ، وله فى كل الأحوال الأثر العكسى الكامل للجهاز العصبى السمبتاوى ، وهو جهاز حيوى لكى يعيش الكائن الحى عيشة هادئة آمنة تحفظ له بقاءه .

وسبب العلاقة الوثيقة بين نشاط الجهاز العصبى المستقل ، وبين الحالات الانفعالية المختلفة التى تطرأ على الكائن الحى ، أخذ علماء النفس منذ سنوات بعيدة يبحثون عن الروابط بين الاستجابات التلقائية والسمات المزاجية للفرد ، لقد عرض أحد الباحثين مجموعة من الناس لإجباتٍ معينة ثم قاس عودتهم إلى حالة التوازن الداخلى خلال نشاط الجهاز العصبى المستقل ، وكشفت الدراسة عن وجود عمليتين مترابطتين هما إثارة الحافز والقدرة على التحكم فى تفرغ الطاقة استجابة لوجود المثير الخفيف أو المهدد ، وفى ضوء هذه الاستدلالات أمكن تصنيف الأشخاص إلى نماذج ثلاثة : أناس تكون استثارة الحافز عندهم قوية وسريعة ، ولكن قدرتهم على التحكم فى تفرغ الطاقة ضعيفة ، ومن السهل على أمثال هؤلاء الاندفاع إلى ارتكاب الجريمة ، كما تكون قدرتهم على التوافق مع البيئة وضبط النفس ضعيفة ، وثمة مجموعة ثانية تكون استثارة الحافز لديهم ضعيفة وقدرتهم على التحكم فى تفرغ الطاقة قوية ، وهؤلاء يبدوون كما لو كانوا متبلدين لا يريدون عمل شئ ما ، ويخافون من القيام بأى عمل فهم أقرب إلى الشخصيات المرضية ،

وهناك نوع ثالث تكون استثارة الحافر عندهم قوية وقدزتهم على التحكم في السلوك قوية كذلك ، وهؤلاء هم أكثر نجاحاً لأن الفرد منهم يبذل جهداً أو طاقة دون أن تذهب هذه الطاقة أو هذا الجهد هباءً .

وحديثاً زاد الاهتمام بدراسة هذه الأجهزة العضوية للكائن الحي الإنسانى ، وربطها بشخصيته أو حالاته المزاجية .

قبل سنة ١٩٥٠ ، لم تكن الدراسات التى استخدم فيها جهاز رسم المخ الكهربائى E.E.Y. بذات قيمة كبيرة ، كما لم تكن نتائجها مشجعة . ولكن فى السنوات الأخيرة أصبحت لنتائج هذه الدراسات أهمية كبيرة . فقد وجد ارتباط موجب بين الذبذبة « ألفا » وتقديرات الحالات المزاجية للفرد ، فالأشخاص الذين تكون عندهم الذبذبة « ألفا » عالية ، يعطون تقديرات مرتفعة فى النواحي المزاجية ، إذ يكون الفرد منهم أميل إلى الاندفاع وأحوج إلى الضبط والتحكم فى انفعالاته ، على حين أن الأشخاص الذين تكون عندهم الذبذبة « ألفا » منخفضة ، يكونون أميل إلى الحذر والتروى وإلى الكف .

وليس من شك أيضاً أن لإصابات المخ - التى تتباين وتختلف تبعاً لنوع الإصابة وتبعاً لجزء المخ أو المنطقة الخاصة التى لحقتها الإصابة - تأثير واضح على الشخصية . فأورام المخ قدمت للإكلينيكى قدراً كبيراً من المادة التى تتصل بعمل المخ ووظيفته .

وبالإضافة إلى الأورام والإصابات هناك أيضاً التهابات الدماغ

فالتهاب السحائي الشديد ، قد يحدث تغيرات ملحوظة وحادة في الشخصية ، إذ يصبح المريض قلقاً مضطرباً ، يفقد التحكم والضبط تماماً ، يصرخ ويعتدى ربما بسبب الصداع الشديد .

٣- التكوين الغددي للفرد :

بالإضافة إلى العوامل الوراثية ووظائف الأجهزة العضوية ، هناك عامل ثالث يندرج تحت المحددات البيولوجية ونعني به التكوين الغددي ، ونعني عن القول بأن الغدد « الصماء » تلعب دوراً بارزاً في حياة الإنسان السلوكية وعلى الأخص الجانب الانفعالي والدافعي منها ، كما يكون لها تأثير مباشر في تشكيل مقاييس جسمه ونمطه الشخصي . ولهذا يميل البعض إلى اعتبارها بعض الجوانب الهامة في فهم السلوك الحيواني عامة ، والبشرى خاصة ، حتى أن أحدهم وهو « لويس برنمان » بالغ في أهمية إفرازات هذه الغدد « الصماء » في تحديد الشخصية ، فقد ذهب إلى أن علم دراسة الغدد يلعب دوراً رئيسياً في تحديد الشخصية يفوق الدور الذي يلعبه أى عامل آخر . كما ذهب أيضاً إلى أن المريض النفسي ، والمريض العقلي ، بل والمجرم ، هم في الحقيقة ضحايا اضطرابات إفرازات الغدد ، وأن من الممكن علاجهم عن طريق الغدد ذاتها ، كما أشار إلى إمكانية التحكم في عملية التضج من خلال التحكم في إفرازات الغدد « الصماء » وقد أخذت دراسة العلاقة

بين وظيفة الغدد والشخصية صوراً متعددة ، كان أقدمها الملاحظة الإكلينيكية لأشخاص يعانون من نقص إفرازات الغدد . ثم أتت بعد ذلك الدراسات التي أجريت على أشخاص أزيلت بعض الغدد عندهم لأسباب طبية أو مرضية ، وأخيراً أتت الدراسات التجريبية التي تُجرى على أشخاص يحقنون بهرمونات تحت ظروف تجريبية دقيقة مضبوطة ، ثم ملاحظة ما يطرأ عليهم من تغيرات ، وكانت معظم التجارب التي تُجرى على الحيوانات في هذا المجال تنصب على إزالة الغدد دون أن تكون هناك أسباب مرضية بالطبع ، وقد أمكن الوصول إلى حقائق على جانب كبير من الدقة والأهمية تتصل بطبيعة النتائج المتوقعة عند وجود زيادة أو نقصان في هرمون غدة بالذات .

وهناك العديد من الدراسات التي أجريت على بعض الغدد التي توصلت إلى نتائج هامة ، هناك مثلاً ، الغدتان المعروفتان بغدتي الطفولة ، وهما الغدة « التيموسية » وتقع فوق القلب ، والغدة « الصنوبرية » وتقع خلف النخامية بأسفل الدماغ ، ومن المعروف أن هاتين الغدتين تعرضان للضمور قبل مرحلة المراهقة ، الأمر الذي يتيح الفرص أمام غدد الجنس كي تتشط وتؤدي عملها ، أما إذا لم تضمر هاتان الغدتان في السن المناسبة ، فإن الفرد يظل برغم نموه الجسمي ، كالطفل في سلوكه وتصرفاته ، فيكون ضعيف الإرادة رفيع الصوت . لكن قد يحدث أيضاً أن تضمر هاتان الغدتان في سن مبكرة مما يتيح

الفرصة أمام غدد الجنس كي تعمل في وقت مبكر وقبل السن المألوفة وعندئذ يحدث النضج الجنسي المبكر .

وهناك أيضاً الدراسات التي أجريت على الغدة « الدرقية » وتوجد في مقدمة الجزء الأسفل من الرقبة ، ووظيفتها تخزين مادة اليود وإفراز هرمون الثيروكسين الذي يؤثر في عمليات النمو وعمليات الهضم والبناء ، كما أنها تؤثر وتتأثر بإفراز غيرها من الغدد الصماء وخاصة الغدة النخامية . والاضطرابات التي تصيب وظيفة الغدة « الدرقية » تكون إما بنقص إفراز هذه الغدة أو زيادته ، والأشخاص الذين يعانون من نقص إفراز « الدرقية » يكونون أميل إلى الخمول والبلادة والغباء وكأنهم في سبات عميق . كما أنهم من النوع المكتئب المتبرم كثير الشك ، أما الأشخاص الذين يعانون من زيادة إفراز « الدرقية » فيلاحظ عليهم الميل إلى زيادة التوتر العصبي وشدة الاستثارة والقلق ، كما تزداد لديهم شدة استجابة الجهاز العصبي المستقل ، فيكون الفرد كثير الحركة زائد النشاط لا يستقر له قرار ويكاد يكون في حالة توتر مستمر .

وإذا كان ما يعترى إفراز « الدرقية » من نقصان أو زيادة يؤثر في الحالة الانفعالية فإن العكس أيضاً صحيح ، فقد كشفت الدراسات أن التوتر الانفعالي المستمر يؤدي إلى تضخم « الدرقية » وزيادة إفرازها يزيد بدوره شدة الانفعال وحدته . وكذلك قد يؤدي الانهباط المزمن إلى خفض نشاط الغدة الدرقية .

وليس من شك أيضاً أن الغدد التناسلية لها تأثير واضح على سلوك الفرد وشخصيته ، وغدد التناسل هما الخصيتان عند الذكر ، والمبيضان عند الأنثى ، وعمل الغدد التناسلية محكوم بهرمون النمو الجسمى الذى يفرزه الجزء الخارجى للغدة النخامية ، ولا بد أن يكون إفراز هرمونات الغدد التناسلية منتظماً من البداية ، لكي يتطور الفرد نحو جنسه الطبيعى . أما إذا اختلت نسبة إفراز هرمونات الغدد ، فمن المحتمل حدوث مضاعفات فسيولوجية ونفسية لدى الفرد ، فمثلاً يتسبب عن ضعف الهرمونات الذكورية عند الذكر إلى تحلّف ظهور الصفات الجنسية الثانوية التى تتمثل فى خشونة الصوت ، ونبت الشعر فى مواضع مختلفة من الجسم ، وإلى تأثر الصفات السيكلوجية كالميل إلى الاستقلال ، والميل إلى العدوان ، وحب الزعامة والميل إلى المخاطرة ، والميل نحو الجنس الآخر . ويقال نفس الشيء عن الأنثى التى يضطرب لديها هرمون الغدد التناسلى .

وفى ضوء ما تقدم نكون قد أوضحنا المحدد الأول من محددات الشخصية ونعنى به، المحدد البيولوجى بجوانبه المختلفة التى تتمثل فى النواحي الوراثية ، والأجهزة العضوية ، والتكوين البيوكيميائى والغددى للفرد . ولكن الشخصية لا تخضع لمجموعة العوامل البيولوجية وحدها ، بل هناك مجموعة أخرى من العوامل ، ليست أقل تأثيراً ووضوحاً فى تكوين الشخصية ونعنى بها العوامل البيئية الثقافية والاجتماعية .

ثانيا : المحددات البيئية

(١) البيئة الثقافية والاجتماعية : وإذا كانت التكوينات البيولوجية للفرد تحدد إلى درجة كبيرة شخصية الفرد وتجعلنا على يقين من القول بوجود فروق فردية واضحة ملحوظة في النواحي العقلية ، والجسمية ، والمزاجية ، وتؤثر بدورها تأثيراً ملحوظاً في نمو شخصية الفرد ، فإن الشخصية ليست شيئاً ثابتاً لا يقبل التغير منذ الولادة ، فن الخصائص الأساسية للإنسان قدرته على التغير نتيجة ما يمر به من خبرات وتعلم ، وإذا كان سلوك الحيوان يتحدد إلى درجة كبيرة بغرائزه بحيث لا نحتاج إلى معرفة الشيء الكثير عن تاريخ حياة الحيوان من أجل التنبؤ بسلوكه ، فإن الأمر يختلف بالنسبة للإنسان حيث نحتاج إلى معرفة تفصيلية عن خبرات الفرد الماضية وبيئته وثقافته التي نشأ فيها من أجل الحكم على سلوكه ونمو شخصيته ، وبدون هذه المعرفة يتعذر علينا فهم حتى أبرز الخصائص في شخصية الفرد .

وفي ضوء ذلك يتضح لنا أنه من المتعذر علينا تفسير سلوك الفرد ونمو شخصيته دون أن ندخل في الاعتبار البيئة التي نشأ فيها سواء كانت هذه البيئة طبيعية أو ثقافية ، أو اجتماعية . ولذا يتعين علينا أن نشير باختصار إلى كل منها ، أما البيئة الطبيعية فيتضح أثرها إذا نظرنا إلى اختلاف أساليب تكيف الناس ومعيشتهم وطرق مواجهتهم للحياة في البيئات المختلفة .

فعلى الرغم من تشابه الناس في حاجاتهم ودوافعهم الأساسية فإننا نلاحظ أن ثمة اختلافاً واضحاً بينهم في طرق مواجهتهم وإشباعهم لهذه الحاجات ، فبدو الصحراء والأسكيمو في المناطق القطبية ، هم إلى حد بعيد نتاج هذه البيئات الطبيعية المختلفة ، فتمو أجسامهم وطرق معيشتهم وأساليب حياتهم تأثرت إلى حد بعيد بالبيئة الطبيعية المحيطة بهم .

أما البيئة الثقافية فلها تأثيرها الواضح أيضاً في نمو الشخصية ، فأثر الثقافة في تكوين الشخصية لا يمكن إنكاره والبيئة الثقافية أو الحضارة التي تتبع من البيئة تعد في نظر البعض العامل الأساسي في تشكيل الشخصية بالمعنى الدقيق ، فبدون الحياة الثقافية لا يكون لدينا أفراد بل كائنات حية عضوية ، وعملية التطبيع الاجتماعي التي تبدأ داخل الأسرة ، هي التي تحول الفرد من كائن حي بيولوجي ، إلى كائن حي اجتماعي يعيش في مجتمع يؤثر فيه ويتأثر به .

فالشخصية لا يمكن إذن عزلها عن الإطار الثقافي الذي نشأت فيه بنوع من الجراحة التي تقضى على حياة الفرد .

والبيئة الاجتماعية لها دورها أيضاً في تنمية شخصية الفرد ، فالمجتمع الإنساني ، هو عادة جماعة منظمة تعيش في مكان معين وتشارك في مجموعة من الاتجاهات والميول وأنماط السلوك والأهداف ، وتعتبر الجماعة الإنسانية الاجتماعية بالنسبة للفرد إحدى النقاط الهامة في نمو شخصيته .

فالمجتمع هو الوسط الغذائى الذى ينمو فيه الفرد وتمو فيه شخصيته بالتدريب .

ولتقف وقفة قصيرة عند الثقافة لتبين أثرها فى نمو الشخصية وتشكيلها ، فالثقافة التى يعيش فيها الفرد وينمو خلالها تؤثر تأثيراً واضحاً فى تكوين شخصيته ، فالأسترالى المولد تختلف شخصيته عن شخصية الأمريكى ، وشخصية أبناء فرنسا تختلف عن شخصية المستوطنين الفرنسيين فى كندا مثلاً ، وحتى الاختلافات فى الثقافات الفرعية من شأنها أن تحدث اختلافات واضحة بين الأفراد ، فشخصية نجوم السينما تختلف عن شخصية العلماء الذين يكرسون حياتهم للعلم داخل جدران المعامل ، على الرغم من انتمائهم جميعاً لمجتمع واحد .

وقد عرفت الثقافة تعريفات كثيرة منها أنها نتاج إنسانى للتفاعل الاجتماعى بين أفراد مجتمع من المجتمعات ، وتوفر أنماطاً اجتماعية عامة ومقبولة يستجيب الأفراد فى ضوءها لحاجاتهم البيولوجية والاجتماعية ، وهى تنتقل من جيل إلى جيل فى المجتمع ، وتراكم عبر الأجيال نتيجة هذا الانتقال ، كما تكون محملة بالمعانى التى يعبر عنها الأفراد بلغتهم بما فيها من رموز ، ولذلك فالثقافة ليست فطرية وإنما يكتسبها الفرد من سياق نموه وسط الجماعة .

ولذا فهى أساس يؤثر فى تكوين شخصية كل فرد ينمو وسط هذه الجماعة ، وتعتمد فى وجودها واستمرارها على استمرار المجتمع وإن كان

هذا الوجود وهذا الاستمرار لا يتوقفان على وجود فرد بعينه أو جماعة بعينها ، فالثقافة هي أسباب الحياة المختلفة التي توصل إليها الإنسان عبر التاريخ ، والتي توجد في وقت معين والتي تكون أساليب إرشاد وتوجيه لسلك الأفراد في المجتمع .

فالثقافة هي بلا أدنى شك من محددات عضوية الجماعة ، بل هي أهم هذه المحددات جميعاً ، إن العلاقة المتبادلة بين الثقافة وتكوين الشخصية علاقة وثيقة ؛ وهي تتم من خلال عمليات التفاعل بين الأفراد بعضهم وبعض وتفاعلهم مع البيئة التي يعيشون فيها ، والأفراد لا تنمو شخصياتهم إلا في محيط ثقافي ، وعن طريق اكتساب الأفراد للنظم والعادات والتقاليد التي تسود المجتمع الذي يعيشون فيه ، وإذا كانت أساليب السلوك المكتسبة هي التي تسود حقيقة ، فإن عمليات الاكتساب هذه تأخذ صورة التطبيع الاجتماعي أو التثقيف الاجتماعي ، أي صورة إحداث تكامل بين الفرد ونمط الثقافة السائد في مجتمعه . . . ويعد المحيط الأسري الذي يلعب دوراً هاماً في مراحل الطفولة المبكرة ، أحد العوامل الهامة في عملية الانتقال هذه

وعملياً التطبيع الاجتماعي هي العملية التي بواسطتها يتقبل الفرد من كائن حي بيولوجي إلى كائن حي اجتماعي يعيش في مجتمع يؤثر فيه ويتأثر به ، فعملية التطبيع الاجتماعي إذن ، هي عملية تكوين الشخصية الإنسانية ذات الطابع المعين العام والخاص ، وهذه الشخصية الإنسانية

يختلف تكوينها واتجاهاتها وقيمتها من ثقافة إلى أخرى حسب مكونات هذه الثقافة وأناطها ، فلكل مجتمع نموه التاريخي وأناطه الثقافية العامة ، وقيمه وحاجياته ومطالبه ، كما تختلف المجتمعات بعضها عن بعض حسب مستويات التعقيد أو البساطة مما ينعكس أثره بالتالى على شخصية الأفراد فى المجتمعات البدائية تكون أساليب التنشئة الاجتماعية بسيطة وسهلة وواضحة ، تقوم على التقليد والتلقين أكثر مما تقوم به على التمييز والتفكير والاختيار ، أما فى المجتمعات المعقدة ، فإن عملية التنشئة الاجتماعية تكون معقدة كذلك نظرًا لتعدد المعايير والقيم والعادات وأساليب الحياة المختلفة والمهارات الأساسية التى يجب على الفرد أن يتعلمها لتحقيق أهداف المجتمع وقيمه ومعايير .

فالشخصية الإنسانية تُفهم أيضًا فى ضوء الإطار الثقافى الذى يعيش فيه الفرد وفى ضوء التفاعل المتبادل بين الفرد والمجتمع واعتماد كل منهما على الآخر ، ومن الواضح أن المنظمات التى تقوم على تنشئة الطفل تتحدد فى عمليات التنشئة الاجتماعية بالشكل الدقيق الذى تشكل فيه خبرات الطفولة عادة بطريقة ثابتة ، فالطفل يواجه عادة بالعديد من مشكلات التكيف والتوافق مع البيئة ، فهناك المشكلات التى تصل بحماية الذات والإبقاء عليها ، فكل طفل يجب أن يتغذى وأن يلقى العناية من المحيطين به ، وأن يُجنب الخطر والألم ، والطريقة التى تشجع بها هذه الحاجات تؤثر فى نظرتة للعالم والأشياء الموجودة فيه : هل هى مصدر

خطر وقلق أم أنها ليست كذلك . ثم هناك أيضاً مشكلات المحبة ، فكل طفل محتاج لأن يُحِب وأن يُحَب ، وهو أحياناً يتحمل بعض ألوان العقاب من أجل أن يحتفظ بمحبة الآخرين له ، ثم هناك أيضاً المشكلات التي تتصل بالكفاية أو المقدرة كالنجاح في اكتساب عادات حركية مختلفة ، ثم هناك مشكلات الشعور بتقدير الذات ومشكلات الضبط والتحكم وغيرها .

وكل ثقافة لها معايير للسلوك تهتم أن ينشأ الطفل وفقاً لها ، ومع ذلك تتحدد المشكلات الكبرى التي تواجه الطفل والطريقة التي يمكنه بواسطتها حل هذه المشكلات ، ومعايير السلوك هذه بأسلوب التنظيم العائلي الذي يمكنه أن يكشف عن أنواع لا حصر لها من التغيير . ومن ثم فإن الأسرة تلعب دوراً هاماً في نقل الثقافة وفي تنمية شخصيات أبنائهم .

(ب) الأسرة : من الأمور الأساسية في دراسة الشخصية معرفة الشيء الكثير عن الأسرة التي نشأ فيها الفرد ، والتي تعكس عليه ثقافة المجتمع الذي نشأ فيه ، وذلك قبل أن نفسر تفسيراً صحيحاً لماذا كشف هذا الفرد عن هذه الخصائص ، وهذه السمات المميزة له ، فأ أسرة الفرد تلعب دوراً جوهرياً في تشكيل شخصيته ، فهي التي تنمي وتحدد في العادة الوسائل العديدة لخبراته ، وهي التي من خلالها تتم عملية التطبيع الاجتماعي التي تلعب دوراً كبيراً في تشكيل شخصية الفرد .

ويكون عالم الطفل في بداية الأمر قاصراً على هذه التأثيرات الهامة الصادرة أساساً من داخل الأسرة ، فهي التي تشكل بالتدرج شخصيته من خلال العديد من الخبرات التي يتلقنها في هذه البيئة الصغيرة ، ولكن الطفل بدوره - ونتيجة للتفاعل المتبادل بينه وبين الأسرة - يبدأ يحدث أثره في الأسرة ويعدل من نمط العلاقات القائمة داخلها .

وليست علاقات الطفل واحدة بجميع أفراد الأسرة ، فتأثير الأم لا يعادله تأثير آخر خصوصاً خلال الفترة الأولى من حياة الطفل . ثم يأتي بعد ذلك تأثير الأب والإخوة ، ثم الأقارب والأشخاص من خارج نطاق الأسرة .

ولا يمكننا رسم نمط محدد لعلاقة الطفل بالوالد أو الوالدة أو الإخوة ، كما أن الخبرات الأساسية للطفل الأول ، تختلف بالضرورة عن الخبرات الأساسية للطفل الأخير ، أو الطفل الوحيد ، أو الأنثى مع مجموعة ذكور ، أو الذكر بين مجموعة إناث وهكذا ، وحتى بالنسبة للطفل الواحد يختلف نمط علاقاته بالآخرين باختلاف السن وغيره من العوامل ، فمع تقدم السن بالطفل يصبح تأثير جماعات الرفاق خارج مجال الأسرة أكثر أهمية وبشكل متزايد ، وقد يفوق تأثير هؤلاء تأثير الآباء أحياناً ، فالأهمية النسبية لكل من الأم والأب والآخرين ، تختلف اختلاف مرحلة النمو وباختلاف الجنس والسن .

وقدر كبير من معرفتنا عن نمو شخصية الفرد يرجع إلى « فرويد » فمن

خلال أساليب التحليل النفسى التى تتضمن التداعى الحر ، وتحليل الحلم وغيرها ، تمكن « فرويد » من سبر غور لاشعور شخصيات مرضاه ، وأن يعيد بناء تاريخها الخائى .

وليس من شك فى أن خبرات الطفولة - على نحو ما أوضح فرويد - يكون لها أثرها الواضح ، وانطباعاتها الغائرة على شخصية الفرد بعد ذلك ، بل إنه يكون من الصعب أحياناً على الخبرات التالية أن تحدث فيها تعديلاً جوهرياً فى بعض الأحيان ، فالطفل الذى يبدأ ينظر لنفسه على أنه غير مرغوب فيه ، أو على أنه منبوذ من أفراد الأسرة ، قد يجد من الصعوبة بمكان تغيير نظرتة لنفسه بعد ذلك ، حتى ولو مر بخبرات عديدة مغايرة فى الكبر ، فالخبرة المبكرة تكون ذات تأثير بارز أحياناً فى نمو شخصية الفرد ، كما أن حدود ومحتوى هذه الخبرات يتحدد إلى درجة كبيرة عن طريق الأسرة ، وعن طريق الأسرة يشبع الطفل حاجاته النفسية إذا أريد له أن ينمو نمواً نفسياً سويًا ، فكما تعتبر التغذية والظروف الصحية الملائمة أمراً ضرورياً ولازماً لنمو الجسم السليم ، فكذلك تعتبر الخبرات النفسية المناسبة أمراً ضرورياً ولازماً لنمو الشخصية السوية المتكيفة ، فالطفل يواجه فى المنزل أولاً المواقف التى قد تؤدى إلى ظهور التوتر ، كما أنه يتعلم فيه أيضاً كيفية مواجهة هذه المواقف ، وكيف يعمل على خفض حدة التوتر .

والرعاية المعقولة التى ليس فيها إفراط أو تفريط يكون لها أثر واضح

في تنمية شخصية الطفل بصورة متوافقة ، أما الطفل الذى يلقي المزيد من التدليل ، أو الذى يلقي المزيد من الإهمال والتبذ ، فإنه يكون أكثر تعرضاً لمشاعر القلق وعدم الطمأنينة .

وطالما أن الطفل يحتاج إلى قدر معقول من الرعاية النفسية والبدنية من الوالدين ، فإن المتزل يُعتبر في هذه الحالة أحد المحددات الهامة في نمو شخصية الطفل ، فالأسرة تكون في مركز رئيسى يدعم أو يهدد مشاعر الطفل بالطمأنينة ، فإذا كانت ظروف البيت من النوع الذى يدعم توافق شخصية الطفل بدرجة مناسبة ، فإن الطفل يسير في سبيل النمو السليم . أما إذا عجز المتزل عن أن يقدم للطفل الاستجابات الانفعالية المناسبة والشعور بالأمن ، فسوف يُنمى عنده أساليب دفاعية يكون الهدف منها أحياناً التغلب على مشاعر القلق ، وعدم الأمن كالكبت والتبرير والإسقاط وغيرها ، ومن الممكن القول بأن الطفل الذى لم يتعلم الحب في المتزل ، يستحيل عليه أن يصدق الآخرين أو أن يثق فيهم ثقة تامة ، فهو قد أودى وتعرض للألم ولا يريد أن تتكرر معه مثل هذه الخبرات المؤلمة ، فمن لدغ مرة يخاف العقارب بعد ذلك .

ولقد أشار علماء النفس إلى أسلوب معاملة البيت والنمط المقابل في شخصية الطفل وسلوكه ، فالتبذ كأسلوب من أساليب المعاملة الوالدية من شأنه أن يخلق شخصية عدوانية سيئة التوافق ، لديها مشاعر عدم الطمأنينة ، خانعة سادية ، أما الرعاية الزائدة على الحد ، فمن شأنها أن

تخلق شخصية طفلية انطوائية ، ليست لديها القدرة على تحمل المسؤولية ، تعاني من صعوبات التوافق ، والآباء المسيطرون ، قد يؤدي سلوكهم إلى طبع شخصيات أبنائهم بطابع الخنوع ، فيكون من النوع الاتكالي ، الخجول ، المؤدب جداً . أما الآباء المتقبلون لأبنائهم ، فقد يطبعون شخصيات أبنائهم بطابع المتقبل للناس اجتماعياً ، المتوافق ، الواصل في المستقبل .

وليس أدل على أثر سلوك الوالدين في شخصية الأبناء ، مما نراه في أحيان كثيرة من أن الأبناء غير المتوافقين نفسياً يأتون من بيوت منهاره غير متوافقة ، وبيوت كان فيها الصراع أو الاحتكاك مستمراً بين الأبوين ، أكثر مما يأتون من بيوت كانت فيها العلاقات طيبة بين الآباء .

وعندما يكون جو المنزل من النوع الذي يكثر فيه التراع والشقاق ، فإن الطفل غالباً ما يوزع ولاءه بين الأب والأم ، وفي معظم الأحيان لا يكون ثمة تعاون بين الآباء فيما يتصل بالأمور الحياتية التي يجب تدريب الطفل عليها ، وقد يتعلم الطفل استغلال أحد الوالدين ضد الآخر أو قد يهملها معاً ، وفي أغلب الأحيان يكون الأبوان في حالة توتر انفعالي مما يجعل تصرفاتهما تتسم بالرعونة والحمق ، ويحمل أسلوب كلامهما مع الطفل فيه جفاء وخشونة ، كما تكون طويقة حديثها مع الطفل مقتضبة ، ومثل هذا السلوك من جانب الأم ن من شأنه أن يخلق التوتر الانفعالي لدى الطفل ، ومن ثم يعوق إحساسه بالأمن الذي هو حاجة

أساسية لتكامل شخصية الفرد ، والسؤال الذى قد يثير اهتمام القارئ هو إلى أى مدى تظل آثار خبرات الطفولة المبكرة قائمة فى الفرد ؟ لم يجمع علماء النفس بعد المادة الكافية التى تسمح بالإجابة الشافية على مثل هذه الأسئلة . ولكن هناك بعض الأفكار التى تقوم على الحدس ، فقدر كبير من سلوك الإنسان يمكن أن تُستدل عليه من المؤثرات الخارجية ، ومن الظروف التى يعيش فيها أوامر بها ، فإذا ظلت هذه المؤثرات والظروف قائمة وثابتة نسبياً لفترة طويلة من الزمن ، فإن الاحتمال كبير أن يظل سلوك الفرد على قدر من الثبات النسبى كذلك ، فالشخص الذى ولد وترى فى نفس البيت ومع نفس الأصدقاء وفى نفس المدينة وفى بيئة مستقرة نسبياً ، من المحتمل أن يكشف عن تغيرات أقل فى شخصيته من ذلك الآخر الذى انتقل كثيراً من مكان لآخر ودفعته ظروفه إلى التوافق مع بيئات كثيرة متعددة ، فالبيئة المستقرة نسبياً من شأنها أن تخلق نوعاً من الاستقرار النسبى فى الشخصية .

وبالمثل يعتبر سن الفرد وقت حدوث التغير فى البيئة عاملاً هاماً ، فالاستجابات المتعلمة لفترة طويلة من الزمن تكون أكثر مقاومة للانطفاء والتغير من أنماط السلوك التى مارسها الفرد مرات قليلة نسبياً ، وشخصية الرجل ذى الخمسين ربيعاً أقل قابلة للتغير . . وأكثر مقاومة له من شخصية المراهق فى الخامسة عشرة من عمره ، وليس معنى ذلك أن رجل الخمسين لا يتغير بالطبع أولاً يمكنه أن يغير سلوكه ، إنه يغيره ولكن

التغيرات التي تحدث لا تكون في الأغلب الاستجابات الأساسية المتأصلة والتي أصبحت مميزة لشخصيته .

والطفولة المبكرة والمتأخرة هامة بلا شك بالنسبة لنمو الفرد بعد ذلك على الأقل ، لأنها تكون في أوائل الحياة .

ففي الطفولة يتعلم الطفل أن يتوافق مع بيئته وأن يتفاعل مع الناس . وهذا التعلم يمكن أن يكون ثابتاً ومستقرًا إذا كانت البيئة متماسكة ومنسقة ، وكان الثواب والعقاب يقدمان بنفس الطريقة الثابتة المنسقة الصحيحة ، وجانب كبير من تعلمنا المبكر يكون أيضًا انفعاليًا ، فبالإضافة إلى المهارات الحركية المتعددة ، نكتسب أيضًا استجابات وجدانية عريضة ، نحب ونكره ، ونكوّن اتجاهات نحو الأشياء والأشخاص الذين نتعامل معهم ، وتكون هذه الاستجابات الوجدانية المتعلمة ، من النوع الذي يقاوم الانطفاء إلى حد بعيد .

وليس من شك في أن عملية التطبيع الاجتماعي للطفل ، تعتبر أحد الوظائف الأساسية للأسرة ، فهي المسئولة الأولى عن تعليم الطفل كيف يسلك ، بحيث يتمكن أن يتكيف مع الثقافة التي يعيش فيها . والتي تعد الأسرة جزءًا منها . ولتحقيق هذا الهدف ، فإن على الأسرة أن تعلم الطفل متى وكيف يكبت دوافعه الفطرية ، ومتى وكيف يعبر عنها ، فجميع الأطفال مثلًا ، يبدون سلوك الخوف ، ولكن الأسرة تبدأ منذ وقت مبكر ، تُعلم صغارها كيف يُخفون هذه الاستجابات ، وكيف

يبدونها بشكل مقبول اجتماعيًا .

والأمر بالمثل بالنسبة للعدوان ، وحب الاستطلاع ، ويمكن القول بأن الأسرة هي العامل المسئول عن تنمية نواحي التحكم أو الضبط الكامن في كل طفل ، فعن طريق تعلم الطفل تناول الطعام والإخراج والتعبير عن العدوان والحب وغيرها من الأشياء داخل الحدود التي تفرضها الثقافة ، أن يصل الطفل إلى الحد الذي يمكنه عنده الدخول في الإطار الثقافي للمجتمع الكبير الذي يعيش فيه .

وليس ثمة شك في اختلاف الأسر بعضها عن بعض داخل المجتمع الواحد ، كما أنه ليس من شك أيضًا في اختلاف المجتمعات واختلاف الثقافات ، وهذه حقائق أوضحها علماء الأنثروبولوجيا ، كما أوضحها علماء النفس كذلك ، وبرغم أن تكوين الأسرة واحد في كل مكان ، فإن أسرة الفرد ، هي في العادة التي تحدد نمو شخصيته وترسي أساسها .

الثالث : الدور

وثمة عامل ثالث يحدث أثره في تحديد شخصية الفرد ، ألا وهو عامل الدور ، وهذا العامل له أهميته في دراستنا طالما أن الدور يشير إلى كل من الفرد والمحيط الاجتماعي الذي يوجد فيه ، ففهوم الدور يشير إلى أنه لفهم سلوك فرد ما ، يجب أن نتبّه في الوقت نفسه إلى خصائص شخصيته وإلى الموقف الاجتماعي الذي يوجد فيه .

والدور ، هو ببساطة ما يتوقعه المجتمع من الفرد الذى يحتل مركزاً ما داخل الجماعة ، والمجتمع يحدد الأدوار الاجتماعية التى يتوقع - أفرادها القيام بها فى حياتهم العادية ، فالأب يُتوقع منه أن يعمل ليعول أسرته والأولاد ، وأن يرعى أبناءه ويحسن تربيتهم ويوجههم ، ويشرف عليهم فى المنزل وخارجه ، والأم يُتوقع منها أن تقوم بأداء واجباتها المنزلية ، ورعاية الأطفال وتهيئة الجو العائلى الطيب للأسرة ، والابن الأكبر يُتوقع منه أن يساعد أباه فى رعاية إخوته الصغار ، وأن يشارك فى تحمل أعباء الأسرة ، والولد الذكر يُتوقع منه أن يقوم بدور الصبية العاديين ، والبنت تُعد للقيام بدور الأنثى ، وتتعلم شؤون المنزل وهكذا .

والطفل عندما يتعلم القيام بدوره فى الأسرة ، إنما يتعلم أيضاً الأدوار الأخرى التى يقوم بها الأب والأم والإخوة الكبار ، فالأدوار متبادلة مع دوره ، وهم فى نظره بمثابة نماذج يقوم بتقليدها ، وتُحدث جميع هذه الأدوار أثرها فى عملية التطبيع الاجتماعى ، وفى عملية التثقيف الذى يحتاج إليه فى حياته بعد ذلك .

ومن الواضح أن للفرد الواحد مجموعة كبيرة من الأدوار فى حياته الاجتماعية ، فالأب مثلاً ، بعد خروجه من المنزل والذهاب إلى عمله ، يقوم بدوره كموظفٍ ، أو كعامل ، أو كمهندس ، أو طبيب ، أى يقوم بالدور الذى يتوقعه المجتمع منه فى مجال العمل ، ثم هو حين يعود إلى بيته يقوم بدوره كأب يشرف على تربية أبنائه ورعاية أسرته . ثم هو بعد ذلك

قد يكون عضوًا في ناد ، أو مشارك في جمعية من الجمعيات ، فيقوم في كل منها بالدور الذى يتطلبه منه نشاطه في هذا النادى ، أو هذه الجمعية ، وهكذا الأم والأولاد ، فحياة كل فرد يمكن النظر إليها على أنها سلسلة من الأدوار المتتابعة التى تربط الفرد بمجموعة من النظم الاجتماعية المختلفة ، ولكن قد يحدث أحياناً صراع وتعارض بين هذه الأدوار المختلفة التى تقوم بها في حياتنا ، وكثيراً ما نسمع عما يظهر من تعارض أحياناً في دور المرأة الموظفة ، أعنى ما يتطلبه منها دورها كأم من رعاية أطفالها والإشراف عليهم وعلى تربيتهم ، وبين ما يتطلبه منها دورها في مجال العمل .

والفرد منها لا يرث دوره في الحياة وإنما يكتسبه ويتعلمه من خلال حياته وتفاعله مع الآخرين ، إن الطفل حديث الولادة لا يولد مزوداً بذخيرة من الأدوار التى يقوم بها ، وإنما يكتسب أدواره من الحياة خلال عملية نموه وتربيته .

وجزاء هام من عملية نموه وتطبيقه الاجتماعى ، يتلخص في تعلم كيفية القيام بمجموعة من الأدوار التى سوف تساعده على أن يحدد نفسه ودوره ككائن حى وفرد متميز عن غيره من الأفراد ، فهو يتعلم ليس فقط النواحي المتصلة بعملية التغذية والإخراج ، وضبط العدوان ، والاعتماد على النفس بل ويتعلم أيضاً الكثير من ألوان النشاط التى يتطلبها القيام بهذه الأدوار ، أو بعبارة أخرى يتعلم سلوك الدور ، وليس ثمة شك أن

قدرًا كبيرًا من هذا التعلم إنما يتم داخل جدران الأسرة . وهذا التعلم . يتم إما بشكل مقصود ، أو بشكل عارض . أو عن طريق التقليد . ففي التعلم المقصود يحاول حملة الثقافة في المجتمع نقل أفعال ومعلومات معينة إلى الطفل متخذين من التعليم وسيلة لذلك . فبعض الثقافات تؤكد ناحية الثواب من أجل حمل الطفل على القيام بالسلوك المرغوب فيه ، على حين يؤكد بعضها الآخر ناحية العقاب من أجل منعه عن القيام بالسلوك غير المرغوب فيه . أما التعلم العارض ففيه يلتقط الطفل ألوأنا من السلوك ويتعلمها ، حتى ولو لم تكن لديه نية تعلمها . أما التقليد فيقتصر على الحالات التي يقوم فيها الفرد عن وعي ومعرفة بتقليد سلوك الدور الذي يريد القيام به وذلك بتقليد شخص آخر كالأب أو الأم أو أى شخص آخر . وأيا كانت الوسيلة المتبعة ، فإن الطفل يكتسب من خلالها ألوأنا عديدة من سلوك الأدوار المختلفة التي يقوم بها في حياته . ولعل أول دور يقوم به الفرد داخل الأسرة هو دوره كطفل . ويتحدد هذا الدور بالطريقة التي يترى بها الطفل . وبالتفاعلات مع الآخرين واستجاباتهم لظهوره وسلوكه . ومع النمو تبدأ أهمية الجنس تتضح في تحديد الدور الذي سيقوم به في حياته ذكرًا أو أنثى . كما يتخذ الجنس أهمية كبيرة في نظر القائمين بتربية الطفل ، بمعنى أنه يلزم أن يسلك الولد كولد . والبنت كبنت . وقد يشغل الآباء أنفسهم بتعليم أولادهم الذكور القيام بدور

الذكور ، والبنات القيام بدورهن كإناث .
وهذا التدريب نفسه يتأثر إلى حد بعيد بمفهوم الآباء أنفسهم لدور كل من الذكور والإناث في الحياة ، فقد تشيع بعض المفاهيم التي تنعكس آثارها على تربية الآباء للأبناء ، وفهمهم لدور كل من الجنسين ، ففي بعض الثقافات يسود الاعتقاد بأن البنات هن الجنس الأضعف وأهن الأسرع نضجاً ، وأن الأولاد الذكور أكثر ميلاً إلى العدوان ، وقد تؤثر مثل هذه المفاهيم الشائعة في نظرة الآباء لدور كل من الجنسين .

وإذا كان الجنس عاملاً محددًا للدور الذي يقوم به الفرد في الحياة ، فهناك أيضًا عامل آخر هو الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد . فسلوك دورنا الاجتماعي يتوقف إلى حد بعيد على عضوية الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها ، وإن كان بعض الأفراد يمكنهم الانتقال من طبقة اجتماعية إلى طبقة اجتماعية أخرى ، نتيجة متغيرات مختلفة تطرأ على حياة الفرد كالتعليم أو الثروة ، وإذا كان المركز الاجتماعي للفرد يتحدد إلى درجة كبيرة في المجتمعات البدائية بعامل السن والجنس ، فإن الأمر يختلف في المجتمعات الحديثة ، حيث تلعب عوامل أخرى تعد أكثر أهمية من السن والجنس مثل : الأسرة التي ينتمي إليها الفرد ، وحظها من الثراء أو الجاه ، ونوع العمل الذي يقوم به ، أو حظه من الذكاء ، وما لديه من استعدادات وقدرات .

رابعاً : الموقف

وثمة محدد رابع يلعب دوراً هاماً في تحديد الشخصية ونعني به الموقف ، وما أكثر المواقف التي يمر بها في حياته ، وما أكثر تأثيرها في شخصيته ، وبالطبع لا يمكن النظر إلى الشخصية كما لو كانت مستقلة عن المواقف التي تمر بها أو توجد فيها ، فحتى العمليات الفسيولوجية تتطلب وجود أجهزة داخلية أو ظروف بيئية ومواقف تتحقق فيها .
فعملية التنفس مثلا تتضمن وجود رئتين داخليتين ، كما تتطلب في الوقت نفسه وجود هواء خارجي لازم لعملية التنفس ، وبهذه العوامل المتداخلة معاً يتم تحقيق السلوك .

وليس من شك في أن سلوك الفرد قد يتعدل حسب ظروف الموقف الذي يوجد فيه ، وقد ذهب البعض إلى أن استجاباتنا لاختبارات المواقف أو الاستفتاءات أو أسئلة المقابلة قد تختلف حسب ظروف الموقف ، فلو أن سؤالاً مثل : « هل تحب مخالطة الغرباء ؟ » قد وجه لشخص متقدم لشغل وظيفة تتطلب حسن التعامل مع الناس ، فقد يجيب بالإيجاب لا لشيء إلا للحصول على الوظيفة ، في حين أنه قد يجيب بالنفي لو أن نفس هذا السؤال قد وجه إليه من طيب نفسى يقوم بمعالجته لأن الغرباء يشيرون في نفسه القلق والاضطراب ، ويجعلونه يحس بمشاعر النقص ، وهناك حقائق يمكن النظر إليها عند دراسة محددات الموقف .

الحقيقة الأولى : أن معظم الناس عندما يُواجهون بمواقف غريبة عليهم . يميلون إلى التحفظ في السلوك أو الانسحاب ، وبعبارة أخرى إلى تجنب اتخاذ موقف إيجابي نشط ، أما في المواقف المألوفة فإنهم يكونون عادة أكثر فعالية ونشاطاً وتعبيراً عن أنفسهم ، وفي ضوء هذه الحقيقة نحن نميل إلى تحقيق ذواتنا ، وإذا عجزنا عن ذلك ، على نحو ما قد يحدث في المواقف الغريبة ، فإننا نميل إلى الانسحاب .

الحقيقة الثانية : أن صغار الأطفال « مَوْقِفِيُونَ » أكثر من الكبار ، فهم يَحْيُونَ الموقف المباشر الذي يرون به ، فهم في حالة مرحهم يرحون بصخب ، وفي حالة خوفهم يخافون بشدة ، كل ذلك حسب المواقف المباشرة ، وكأنهم يفتقرون إلى « الشخصية الداخلية » حين يرون بمثل هذه المواقف . ومن الواضح أن الكبار عامة أقل خضوعاً للموقف من الأطفال .

الحقيقة الثالثة : أن معظم الناس يقومون بدور كبير في خلق المواقف التي يستجيبون إليها ، فالشخص الذي يحب الحفلات والاجتماعات ، يسعى إلى عقد هذه الحفلات والاجتماعات ، وقد يفسر مرحة وسروره بأنه نتيجة للموقف ، ولكن أليس الموقف نفسه نتيجة لعوامل تتصل بشخصيته هو أيضاً ؟ وباختصار ، فإن المواقف التي نجد أنفسنا فيها غالباً ما تكون نتيجة مباشرة لشخصياتنا .

لكن هل يمكن تحديد مقدار ما يرجع من السلوك إلى « الشخصية

الداخلية» ومقدار ما يرجع منه إلى «الموقف الخارجى»، وإخضاع ذلك إلى الدراسة العلمية؟ لنفرض أننا جمعنا مجموعة من الناس فى مكان واحد، وأعطيناهم عملاً مشتركاً للقيام بأدائه، فإننا نلاحظ ميل البعض إلى تزعم الجماعة وقيادتها، وميل البعض الآخر إلى اتخاذ موقف التبعية، فهل القيادة والتبعية هنا ترجع إلى سمات معينة فى الشخصية، أم هى نابعة من الموقف الذى يوجد فيه الفرد؟

لاشك أن الشخصية الداخلية، هى بالطبع شرط للقيادة والزعامة بالنسبة للفرد. فالأذكىاء حسنو التكيف، والذين يسهل عليهم الاندماج مع الآخرين، هم أكثر ميلاً إلى أن يصبحوا قادة فى الجماعة، ويدعم هذا القول وجود سمات أخرى مثل: السيطرة، والذكورة، وغيرها، وبرغم نظرنا إلى مثل هذه الاتجاهات على أنها اتجاهات صحيحة، فإنها ليست لها صفة العمومية بحال من الأحوال، «فالشخصية الداخلية» هى أحد العوامل المحدد للقيادة، ولكنها ليست بالتأكيد العامل الوحيد، فالموقف الذى يوجد فيه الفرد يلعب دوراً هاماً فى سلوكه، فقد يكون الفرد قائداً فى موقف، تابعاً فى موقف آخر برغم توافر شروط القيادة لديه فى كلا الحالين، وفى المواقف غير المتشكلة كالمناقشات المفتوحة مثلاً - فإن سمات الشخصية تكون أكثر وضوحاً فى تحديد الدور الذى يقوم به الفرد، أما فى المواقف التى تتصل بمشكلات فنية أو ميكانيكية مثلاً، فإن دور السمات الشخصية يكون أقل فى هذه

الحالة ، إذن يلزم معرفة محددات الموقف إلى جانب معرفتنا لسمات شخصية الفرد من أجل أن يكون التنبؤ بالسلوك أكثر دقة .
تلك هي محددات شخصية الفرد ، وهي المحددات التكوينية ، والمحددات البيئية والاجتماعية ، ومحددات الدور ، ومحددات الموقف ، ولكن هذه المحددات لا تعمل مستقلة إحداها عن الأخرى ، بل تعمل متوافقة إحداها على الأخرى ، فهناك ارتباط واضح بين هذه العوامل بعضها وبعض ، وهذا الارتباط يتضح لنا في العديد من الأمثلة التي نكتفي بالإشارة إلى بعضها .

فالعلاقات بين المحددات الثقافية والدور والمحددات التكوينية ، تتضح حين نلاحظ مثلا أن الطفل في كل مجتمع يتطبع اجتماعياً بصورة مختلفة حسب جنسه ذكراً أو أنثى ، وكذلك حسب سنه .

ومن هنا نجد تمايزات واضحة بين شخصيات الرجال والنساء من ناحية ، وبينها وبين شخصيات الصغار والكبار من ناحية أخرى .

ثم إن الارتباط واضح أيضاً بين المحددات التكوينية وكل من عضوية الجماعة ومحددات الموقف ، فبرغم أن التوائم المتشابهة ، قد تختلف بدرجة قليلة جداً من الناحية التكوينية والبيولوجية ، وأنها تشارك في أنشطة الجماعة التي تبدو متشابهة في الظاهر ، فإن العامل الموقفى قد يحدث آثاراً مختلفة في خبرات كل منهما ، وفي تفاعله الاجتماعى مع الجماعة . فلو أن أحد التوأمين فصل عن أخيه لسبب أو لآخر ، ونشأ في

بيئة تختلف كثيراً عن بيئة أخيه ، ولقى تعليماً مدرسياً عالياً ، في حين حرم الآخر من هذا القدر من التعليم ، فإن الاحتمال كبير أن نجد اختلافاً واضحاً بينهما في خبراتهما برغم تقاربهما في النواحي التكوينية والذكاء .

نمو الشخصية

فكرة المراحل في نمو الشخصية :

تذهب بعض النظريات إلى وجود تتابعات ومراحل متميزة في نمو الشخصية ، ويعتبر البحث عن أحداث رئيسية أو بارزة في أزمته مختلفة من حياة الفرد ، بمثابة الخاصية المميزة لهذه النظريات ، ونحن نرى مثل هذه النظرة واضحة في فكرة « فرويد » عن النمو « النفسى - الجنسى » ابتداءً من المرحلة « القمية » إلى المرحلة « التناسلية » مروراً بالشرجية والقضيبية ، ويؤكد « فرويد » أهمية التغيرات البيولوجية تلك التي تحدث في المناطق « الشبقية » كمصدر للصراع في نمو الشخصية ، وهناك باحثون آخرون يؤكدون فكرة المراحل هذه في النمو « النفسى - الاجتماعى » على نحو ما يذهب « أريكسون » (١٩٥٠) في دراسته للمظاهر والأزمات في نمو العلاقات الإنسانية المتبادلة ، وفي « النمو المعرفى والعقلى » على نحو ما يذهب « جان بياجيه » (١٩٦٠) وفي النمو « الخلقى » على نحو ما يذهب « كوهلبرج » (١٩٦٩) .

ويمكن أن تسير دراستنا لنمو الشخصية في اتجاهين يكمل أحدهما

الآخر :

الاتجاه الأول : يركز على وصف التغيرات التي تطرأ خلال فترة زمنية معينة ، بالنسبة لخصائص أو تراكيب معينة ، وذلك على نحو ما تفعل النظرة الوصفية أو الشكلية في النمو .

الاتجاه الثاني : يركز على دراسة الظروف الواقعية التي تؤثر في اكتساب ونمو هذه الخصائص والتراكيب .

إن الاتجاه الأول يهتم أساساً بوصف التراكيب ونموها وتطورها والتغيرات العادية التي تطرأ عليها خلال مراحل نمو الفرد ، وهذه التغيرات ينظر إليها عادة على أنها تحدث بطريقة منتظمة وليست بطريقة عارضة ، كما أنها يمكن أن تصنف وفق مراحل منتظمة كذلك ، وبرغم وجود فروق فردية واضحة بين الأفراد في سرعة ونمط التغير ، فإن جميع الأفراد يمرون بنفس المراحل .

ويمكن أن نوضح هذا الاتجاه بأمثلة في مجال الدراسات النفسية ، ومن دراسة الكثير من العمليات ، كظهور العمليات الإدراكية والذهنية والحركية وتطورها ونمو الذكاء ونمو أساليب التكيف وغيرها ، ويمكن أن نشير في هذا الصدد إلى الدراسات التي قام بها « هايتز فرنز » و « جان بياجيه » وغيرهما ، فقد ذهب « فرنز » في دراسته للنمو المعرفي إلى أنه يسير من العمومية والإبهام إلى زيادة التمايز والتخصص ، حتى يصل إلى درجة عالية من التكامل ، وقد قام « بياجيه » بالعديد من الملاحظات والتجارب البسيطة على الأطفال ودرس الكثير من الأفكار التي تدور

بذهن الطفل ، كما درس تطورها مع تقدم السن ، فدرس فكرة الزمان والمكان والعلية وغيرها ، ولاحظ مثلا ، أن الطفل يعتقد من مشاهداته للقمر ، أن القمر يسير معه حيثما سار مما يشير إلى نوع من الخلط بين الذات والموضوع الخارجى ، كما لاحظ أيضًا أن الطفل فى مرحلة من مراحل نموه ، يمكنه أن يميز تمييزًا صحيحًا بين يمينه وشماله ، ولكنه لا يمكنه أن يحكم حكمًا صحيحًا على يمين أو شمال شخص آخر يقف تجاهه ، فالطفل فى المراحل الأولى من النمو لا يستطيع أن يفصل بين ذاته والأشياء الأخرى ، ويتصور نفسه يدور فى المكان ، فإدراك الطفل وفهمه للمكان إذن هو من النوع الذاتى المركز .

فالاتجاه الأول : يتميز إذن بالبحث عن التتابعات النائية المنتظمة لعمليات النمو دون محاولة للكشف عن الأسباب أو العلل التى أدت إلى حدوثها أو الظروف التى تحدث فيها :

أما الاتجاه الثانى : فقد أتى ليكمل الاتجاه الأول ، فهو يهتم أساساً بدراسة الظروف والعوامل المؤثرة فى عملية النمو والاهتمام بمحددات هذا النمو .

ويمكن أن نوضح بمثال مستمد من نظرية « فرويد » الفرق بين الاتجاهين والارتباط بينهما :

تعتمد نظرية « فرويد » من الناحية الوصفية أو الشكلية على وجود مراحل نائية عامة للفرزيرة يمر بها كل فرد ، ويستدل عليها من أنماط

السلوك التي يكشف عنها الطفل خلال السنوات الأولى من حياته ،
ويسير هذا النمو بشكل عادي ويمر بمراحل منتظمة على نحو ما هو معروف
لنا جميعاً .

ولكن « فرويد » لم يقف عند حد الوصف بل وجه اهتمامه إلى بعض
العوامل والظروف الاجتماعية التي يمكن أن تعوق أو تحرف هذا المسار
الطبيعي للغريزة ، فالتدليل الزائد على الحد خلال مراحل النمو قد يكون
له آثاره الضارة على النمو النفسي للطفل ، وبالتالي على نمو شخصيته ،
فإذا استمرت الأم مثلاً ، في طريق التدليل الزائد بإشباع حاجات الطفل
النفسية عن طريق الاستمرار في الرضاعة إلى ما بعد السن الذي كان من
المفروض أن تتوقف عنده الرضاعة بوقت طويل ، فإن تقدمه ونموه
وانتقاله إلى المراحل التالية يمكن أن يعاق ، وقد يكون لهذه الإعاقة
مصاحبات نفسية معينة تظهر آثارها واضحة في سلوك الفرد وفي
شخصيته .

فهذا الاتجاه الثاني لا يتوقف إذن عند حد وصف التغيرات التي تطرأ
على الفرد ، بل يحاول ردها إلى عواملها العلية وإلى محدداتها التي تؤثر
فيها ، سواء كانت هذه المحددات تكوينية أو بيئية أو اجتماعية .
ومن المعروف بشكل عام أن محتوى وتنظيم الشخصية قد يختلف
اختلافاً جوهرياً في مراحل مختلفة من النمو ، فتفكير طفل الثالثة
واعتقاداته وقيمه ، ومهاراته ، وميوله ، تختلف عنها في سن الأربعين .

مثلا . حقيقة إن الطفل هو أب الرجل ، ولكن ما يفعله الفرد وما يكون عليه ، يتغير مع النمو .

ولذا كان من الضروري أن ندرس حياة الفرد في مواضع مختلفة من الزمن ، حيث تبرز أحداث وأزمات معينة ، وأن تقدر طبيعة الثبات والتغير النسبيين اللذين نلاحظهما عبر السنين .

وسوف نركز فيما يلي على أهم المواقف والأحداث التي تظهر خلال مراحل نمو الشخصية منذ الولادة حتى الرشد :

أولاً : في الطفولة المبكرة

١ - اعتماد الطفل على (الغير) : إن الشيء الأكثر وضوحاً في حياة الكائن البشري ، هو اعتماده الكامل على (الغير) في طفولته المبكرة ، فالوليد يخرج من الرحم مخلوقاً يتوقف بقاؤه على الرعاية الطويلة المستمرة التي يقدمها له الآخرون ، فالطفل في المراحل الأولى من حياته لا يستطيع أن يشبع حاجاته ، ويعتمد على من نحوله للحصول على هذا الإشباع وتخفيف الألم عنه ، ولكن برغم أن الطفل لا يمكنه أن يرعى حاجاته بنفسه ، فإن ثمة استجابات تكون ذات فائدة بالنسبة له ، فهو يتفحص بيئته ويبكى ويصرخ ويرضع ويتسم ويتقلب في فراشه وينأخى ، وبعض هذه الاستجابات تحدث تأثيرات ملحوظة في البيئة على نحو ما يتضح فيما يفرضه الطفل على أمه أحياناً من ضبط وتحكم يصل إليه عن طريق البكاء ، فبينما يعجز هو نفسه عن إشباع حاجاته الأولية بطريقة مباشرة ، إذ به يتعلم أن يستدعى ، وأن يؤثر فيمن يقوم برعايته ، وأن تكون العلاقة بينهما علاقة تفاعل متبادل أكثر منها علاقة تأثير أو تأثير من جانب واحد .

٢ - موقف التغذية : وفي خلال حياة الفرد ، يدخل الكائن الحي العضوى في علاقات متبادلة مستمرة مع البيئة يغير كل منها في الآخر وبشكل ملحوظ ، ويمكن أن نلاحظ المرونة الظاهرة في السلوك

والحساسية الزائدة للتغيرات البيئية في أنشطة التغذية لدى الطفل إذا أمكن تحليلها بدقة .

فالألم عادة ، هي التي تمد الطفل بالغذاء لإشباع حاجاته البيولوجية ، فهي التي تطعمه وتسقيه ، وهي التي تغير له ملابسه حين تبتل ، وهي التي تحتضنه وتدله ، وهي التي تتحدث إليه وتناغيه ، ويذهب « أريكسون » إلى أن العلاقة التي تنمو بين الطفل والأم في خلال هذه الفترة تعتبر بمثابة النموذج الأول لإحساس الطفل بالثقة الأساسية وأنها أساس النمو بعد ذلك ، وقد أعطت نظرية التحليل النفسى في حديثها عن المرحلة الفمية ، أهمية كبيرة لدور الشفتين واللسان والفم كمناطق شبقية ، وكذلك اللذة الثانوية للمص والبلع في علاقتها بالتغذية .

وليس هناك اتفاق حول طبيعة ونتائج هذه اللذات ، ولكن الأمر الذى لا شك فيه هو أن التغيرات والخبرات التي تدور حولها تعتبر أحداثاً هامة في الطفولة المبكرة .

٣- الانتباه البصرى : ومع أن موقف التغذية يعتبر أحد المكونات الهامة في العلاقة بين الطفل النامى والعالم المحيط به ، فإن الطفل هو شىء أكثر من مجرد كونه « مخلوقاً فمياً » ، حقيقة أنه يستجيب للاستشارة بالفم والشفتين واللسان ، ولكنه بالإضافة إلى ذلك ، يرى ويسمع ويحس ، وبذلك يحصل أيضاً على الاستشارة بصرياً وسمعيّاً ولسياً .

لقد قام « هويت » الأستاذ بجامعة هارفارد بملاحظة نمو الأطفال ملاحظة دقيقة وهم يرقدون في أسرهم بغرفهم الخاصة ، وسجل هو وزملاؤه بعناية فائقة ، كم ونوع النشاط البصرى والحركى لدراسة انتباه الطفل ، وفى ضوء هذه الملاحظات أمكنهم تسجيل نمو تزعج الطفل لتكشف محيطه البصرى ، وقد اتضح من هذه الدراسة ازدياد انتباه الطفل بصرياً مع تقدم السن ، يقول « هويت » : إن إحدى النتائج الهامة التى كشفت عنها هذه الملاحظات الأسبوعية أنه - على عكس التوقعات الأكاديمية - لم يكن الأطفال فى الحقيقة « فيين جداً » خلال الأشهر الأولى من حياتهم والواقع أنه يمكن وصفهم خلال الشهور من الثانى إلى السادس بأنهم مخلوقات إدراكية بصرية . . . لقد لاحظنا طفلاً بعد آخر ، فوجدناهم يصرفون الساعات فى تفحص أيديهم أولاً ، ثم أصابعهم ، ثم التفاعلات المتبادلة بين الأيدي والأصابع ، إن مص الأصبع ونشاط الفم لم يكن ملحوظاً إلا فى فترات قصيرة يكون فيها الطفل مضطرباً بشكل ظاهر أوجائماً بشكل غير عادى .

٤- الاستثارة والحرمات : لقد كشفت بعض الدراسات التى أجريت على الحيوانات أن أسلوب معاملة الصغار والاستثارة المبكرة لهم ، يكون له آثار واضحة على نموهم التالى بعد ذلك ، فالحيوانات - كالقطط والكلاب والفيران - التى كانت تلقى معاملة طيبة واستثارة مستمرة نسبياً فى طفولتها المبكرة بدت أفضل - على كثير من الاختبارات

التي طبقت عليها - من تلك التي حرمت من مثل هذه المعاملة وهذه الاستثارة ، فبعض الحيوانات مثلاً نُشِّت في غرفة معتمة هادئة ، ولم تتح لها فرص الاتصال أو رؤية غيرها ، على حين رُبِّيت غيرها في مجموعات من عشرة ، وكانت تلقى الاستثارة من حين لآخر ، وتلعب في أماكن إقامتها ، وتلقى تدريباً خاصاً ، وقد بدأ سلوك هذه الأخيرة مختلفاً عن سلوك تلك التي حرمت فرص التدريب ، وليس من شك في أن المعالجة المبكرة والاستثارة المستمرة للنشاط ، مفيدة أيضاً بالنسبة لنمو الطفل الإنساني ، أما الحرمان من الاستثارة والتعلم ، فقد يكون له آثار سلبية واضحة على النمو .

٥ - أثر العزلة الاجتماعية : الاستجالة حرمان الطفل الآدمي من الاستثارة الاجتماعية - خلقياً على الأقل - وتعريضه للوحدة التامة فترة طويلة من الزمن ، فإن التجارب التي أجريت لدراسة أثر العزلة كان معظمها على الحيوانات ، لقد نُشِّت بعض القرود في حالة عزلة تامة عن غيرها وبدون أية اتصالات اجتماعية طوال الشهور الستة الأولى من حياتها ، وعندما أُخرجت من عزلتها كشفت عن ألوان من السلوك الشاذة اجتماعياً وبشكل ملحوظ .

فكان يبدو عليها الخوف وتجنب تكوين أية صلات اجتماعية كلية ، وحين كان العزل لمدة أقل من ستة أشهر ، أمكن للحيوان أن يشفى ويعود إلى سلوكه العادي بعد فترة من الزمن ، أما حين امتدت فترة العزل إلى

أكثر من ستة أشهر ، كانت النتائج تبدو خطيرة وغير قابلة للشفاء ، إذ كان يبدو على الحيوان مظاهر الفرع والرعب الشديدين كما كان نشاطه الاجتماعي غير عادى .

فمثل هذه الدراسات توحى لنا أن الحرمان القاسى والطويل لأدنى حدود الإستشارة ، من شأنه أن يحدث آثاراً سلبية لدى الكائن الحى ، والأمري ينطبق بالمثل على الأطفال ، فقد كشفت الدراسات التى أجريت على أطفال تربوا فى الملاجئ أن الحرمان المبكر قد يعوق النمو المعرفى والوجدانى ، ومن المحتمل جداً أن يكشف الطفل الذى ينشأ فى مؤسسة أو ملجأ عن كثير من ألوان النقص ، فإبتساماته أقل ، وصراخه أقل وأصواته قليلة ، ويبدو - وهو فى شهره الثامن - كما لو كان غير مهتم بشيء مما يحيط به ، حامل لا تربطه بالآخرين رابطة ، ويذهب البعض ممن قاموا بملاحظة سلوك مثل هؤلاء الأطفال إلى أنهم يفتقرون إلى الحيوية والنشاط ، وتبدو عليهم مسحة من الكآبة .

٦- أثر إثراء البيئة : قامت إحدى الباحثات بدراسات لأثر الاستشارة الخاصة على أطفال المؤسسات وذلك بإعطائهم مزيداً من العطف والرعاية والإحساس بالأومة ، فاختارت ١٨ طفلاً فى الشهر السادس من العمر وكانت هناك جماعة من السيدات تطوعن لرعاية هؤلاء الأطفال ، وقسمت المجموعة إلى قسمين نصفهم يمثل المجموعة التجريبية ، وقامت الباحثة نفسها برعايتهم كأى ، مدة ٨ أسابيع ، لئلا

ساعات يومياً ، ولخمس أيام في الأسبوع ، فكانت تغير لهم لفائفهم وتلعب معهم ، وتبتسم لهم ، وتحاول أن توفر لهم كل رعاية تقدمها الأم لأطفالها ، أما المجموعة الثانية فكانت مجموعة ضابطة تلتق الرعاية العادية التي يلقاها الطفل في المؤسسة والتي يمكن للسيدات تقديمها في مثل هذه الأحوال ، وبذا يمكن القول بأن أطفال المجموعة التجريبية لقوا رعاية أكثر ، ومن شخص واحد ولمدة ٨ أسابيع .

وتم اختبار جميع الأطفال - أسبوعياً - وفي عديد من المواقف ، وكشفت النتائج عن أن المجموعة التجريبية كانت أكثر استجابة اجتماعياً من المجموعة الضابطة ، فعندما كانت الباحثة تبتسم لهم وتتحدث إليهم كانوا أكثر ميلاً إلى الابتسام واستجابة الوجه ، وكان سلوكهم متميزاً بدرجة كبيرة ، ولقد اقتصر التحسن لدى المجموعة التجريبية على ردودهم الاجتماعية ، أما النمو الحركي فكان متشابهاً .

٧ - الروابط الاجتماعية : وفي منتصف السنة الأولى تقريباً ، يبدأ الطفل الذي ينشأ في أسرة عادية ، في الكشف عن الروابط والصلات الخاصة التي تربطه بالأم وغيرها من أفراد الأسرة وخصوصاً الأب ، ويرغم وجود فروق فردية ملحوظة بين الأطفال في هذا المجال ، فإن معظمهم يكشفون عن هذه الروابط والتعبير عنها في الشهر السابع ، ويمكن الاستدلال على قوة هذه الروابط ، من مقدار معارضة الطفل وبكائه عندما يبعد مؤقتاً عن الشخص الذي يحس نحوه برابطة قوية ،

وبعدھا بشهر تقريباً يبدأ الطفل في التعبير عن الخوف من مواجهة الغرباء ، فالطفل - في النصف الثاني من السنة الأولى - يمكنه أن يميز بين الغرباء والمألوفين لديه .

أما خلال الشهور الستة الأولى من حياته وعلى الأخص في الفترة من الشهر الثاني إلى الشهر السادس ، فإنه يبحث عن الاستشارة الاجتماعية من أى شخص كان ويبتسم للوجوه الغريبة والمألوفة على السواء . ويذهب الكثيرون إلى أن الروابط الاجتماعية تستمد جذورها من الرابطة الوثيقة بين الأم ، وخفض حدة التوتر الجسدى الناشئ عن دافع الجوع ، وبسبب الارتباط الوثيق بين الأم وخفض حدة هذا التوتر ، تصبح الأم موضوعاً للإشباع وموضوعاً يبحث عنه الطفل .

ولدراسة فكرة العلاقة بين التغذية والروابط الاجتماعية ، يلزم الفصل بين وظيفة التغذية للأم وغيرها من الوظائف التى تقوم بها . ومثل هذا الفصل مستحيل عملياً الوصول إليه في المواقف الإنسانية ، ولذا أجريت التجارب على الحيوانات كالقردة ، ففي إحدى الدراسات تربت صغار القردة بعيداً عن أمهاتها الحقيقية ونُشِئت تحت رعاية أمهات « معملية » غير حية ، أى أمهات صناعية ، ولم تكن الأم المعملية تشبه القردة ، بل كانت إحداها عبارة عن شبكة من الأسلاك ، وبرغم أنها لم تكن ناعمة أو تغرى بالمعانقة فإن صغار القردة كانت تتعلق بها للغذاء ، وكانت الأخرى تشبه الأولى إلا أنها كانت مغطاة بملابس ناعمة ، ومن

ثم كانت أكثر إغراء للصغار لاحتضانها .

والسؤال الذى يطرح نفسه للدراسة هو هل تتعلق صغار القردة عادة
ببديل الأم التى تمدها بالطعام فحسب ؟ بالطبع كان الطعام معداً وميسراً
فى زجاجة لبن متصلة بصدر الأم البديلة ، وكان الصغار فى أثناء التجربة
أحراراً فى الذهاب إلى أى البديلين ، وبصرف النظر عن كون أيتها
مصدرا للغذاء ، فإن الصغار كانت تختار بوجه عام الأم المغطاة بالملابس
لأنها ناعمة وتغرى بالمعانقة وتتعلق بها وقتاً طويلاً ، كما كانت مصدر أمن
فكانت تقوم بتفحص البيئة بحرية أكثر وبلا خوف وهى متعلقة بها . أما
القردة التى كانت ترضع من الأم المكونة من أسلاك فحسب ، فكان
سلوكها مختلف إذ لم تكن تذهب إليها إلا عندما تكون جائعة ثم تعود بعد
ذلك إلى الأخرى ذات الملمس الناعم وتقضى معظم وقتها متعلقة بها .
ومثل هذه النتيجة توحى بأن سلوك الارتباط قد ينشأ مستقلاً عن
الغذاء وعن خفض حدة الجوع ، وربما يكون الأمر أكثر وضوحاً عند
أنواع حيوانية أخرى ، كالبط الصغير الذى يطعم نفسه منذ بداية حياته ،
ولكنه مع ذلك يكشف عن ارتباط وثيق بالأم ، إنه يتبعها من مكان
لآخر معظم الوقت ، فالارتباط بسبب الغذاء وخفض التوتر الناشئ عن
الجوع ، غالباً ما ينمى الرابطة بين الطفل والأم ، ولكنه ليس السبب
الوحيد أو الرئيسى .

ثانياً : النمو في المراحل التالية

١ - التدريب على الإخراج : والنمو يتضمن عملية انتقال تدريجي من حالة الضعف والاعتماد على (الغير) إلى السيطرة الفعالة ، والاعتماد على النفس والكفاية والاستدلال ، وقد كرست النظريات الدينامية في علم النفس في دراستها لهذا الانتقال اهتماماً كبيراً لعملية التدريب على الإخراج كمظهر هام للصراع بين دوافع الطفل للبحث عن اللذة ، ومطالب التحكم والضبط التي تفرضها عوامل التطبيع الاجتماعي. ولعل مصدر هذا الاهتمام بالتدريب على الإخراج ، يرجع في جزء منه إلى ضبط عمليات التبول والتبرز تمثل سمة عالمية للتطبيع الاجتماعي ، كما يعكس هذا الاهتمام تأكيد مدرسة التحليل النفسي على المرحلة الشرجية كمرحلة ثانية هامة من مراحل نمو الشخصية .

ومن الواضح أنه إذا استشعر الآباء - وبخاصة الأم - التقزز والحرجل فيما يتصل بعادات الإخراج ، فمن السهولة بمكان أن يتقل قلقهم إلى الطفل في أثناء تدريبه على الإخراج ، وقد يصبح التدريب من المشكلات الصعبة إذا كانت الاتجاهات نحو الوظائف الجسمية « مفرطة في الاحتشام » أو عندما تخيف المربية الطفل بقصص مفرزة عن النتائج الرهيبة لحوادث الإخراج ، وقد تحدث بعض المشكلات عند إجبار الطفل على ضبط عمليات الإخراج وهو لا يزال في مرحلة عدم النضج ،

ويجد صعوبة في فهم ما هو مطلوب منه أداؤه .
وقد ينشأ في مثل هذه الظروف صراع سيئ لا لزوم له بين الأم والطفل ، أما في الظروف العادية ، فن الممكن تحقيق هذا الضبط لدى الطفل النامي وبدرجة كافية دون حدوث مشكلات ، وذلك من خلال التعليم السليم والاستخدام الصحيح للموافقة الاجتماعية لتدعيم الاستجابات المطلوبة .

٢ - الجنس والعدوان : ومع استمرار النضج وبلوغ الطفل مستوى طيب من المهارات الحركية والمعرفية ، فإنه يكتسب الكثير من الإمكانيات الجديدة التي تؤكد ذاته ، فع الحبو والمشى مثلاً تظهر مهارات جديدة تسمح للصغير أن يتناول بيئته بنشاط أكبر ويتكشف عالمه المحيط به بصورة أوسع ، ومعظم هذه الأنشطة تُدخل السرور على نفس الآباء ، وإن أثار بعضها الآخر قلقهم وسخطهم على نحو ما يحدث مثلاً عندما يعيث الطفل بالأسلاك الكهربائية في المنزل .

وهناك مظهران من مظاهر السلوك يثيران المشكلات في معظم الثقافات ، وهما العدوان والجنس ، أما العدوان فهو سلوك موجه نحو إلحاق الأذى (بالغير) أو توقيع الضرر به ، فالعدوان له دائماً ضحية ، فالطفل عندما يضرب الإناث فيكسره ، قد يسكت الآباء على هذا الإتيلاف ، ولكنه عندما يضرب أخاه أو أحد زملاء اللعب ، فسرعان ما يستجيب الآخرون لهذا الإيذاء الواقع على (الغير) ويقفون ضده

أو يمنعونه من مواصلة الإيذاء أو الاستمرار في العراك .
والجنس مظهر ثان من مظاهر السلوك الذى يثير المجتمع ، إن
تفحص الطفل للبيئة قد يشتمل على تفحصه لجسمه ، فهو يلاحظ
أعضائه التناسلية ويلقت نظره على وجه الخصوص أن لبعض الناس
أعضاء تذكير وأن ليس لبعضهم الآخر مثل ذلك ، وهو يبدى اهتماماً
بهذه الحقائق البيولوجية وبجسمه وقد يستمتع بلمس هذه الأعضاء .
وكما كان الحال بالنسبة للتدريب على الإخراج ، فإن خبرات
العدوان والجنس ، قد تصبح مصدر قلق وكبت شديدين ، وبالمثل
يمكن أن تعالج هذه الخبرات وغيرها من مظاهر الشخصية النامية دون
مشكلات أو صدمات انفعالية عنيفة ، فالتهديد بالخصى أو إشعار الطفل
بأن الأنشطة الجنسية أو العدوانية سيئة للغاية ، يمكن أن تنتقل بسهولة
إلى الطفل من خلال أساليب النشاط التى يقوم بها من عهد إليهم بتطبيع
اجتماعياً ، ومن خلال الأقوال والأفعال التى تنتقل إليه عندما يمارس
سلوكاً عدوانياً أو جنسياً أو يحاول القيام بها ، وبالمثل فإن الفشل فى تعليم
الطفل ضبط العدوان أو الجنس بالطرق التى يوافق عليها المجتمع ، قد
يكون له نتائج مدمرة للنمو تماماً على نحو ما يحدثه القلق والكبت
الشديدين من آثار مدمرة كذلك ، فالطفل المفرط فى العدوان ، الذى لم
يتعلم متى وكيف يكف الأذى عن (الغير) ، يكون لديه من المشكلات
الشيء الكثير ، ومثل هذه التعليقات التى نقولها عن العدوان يمكن أن

تنطبق على التطبيع الاجتماعي للجنس .

٣ - الاستطلاع والبحث عن المعرفة : إذا كانت النظريات القديمة تركز في تحليلها للدوافع الإنسانية على الغرائز وعلى الثواب والعقاب ، فإن النظريات الأكثر حداثة توضح دور المعرفة ومتغيراتها في نمو الشخصية وتؤكد دور الصفات المعرفية - كالجدة والتعقيد والتعجب وغيرها - وأثرها على انتباه الطفل .

فالطفل - كالأشد - لديه الرغبة في الاستطلاع والمعرفة ، وتظهر هذه الرغبة في ألوان كثيرة من ألعابه ونشاطه التروحي ، وقد تثير البيئة الجامدة ، وغير المتغيرة لفترة طويلة تثير الفرد ، وتعوق نشاطه الإدراكي والعقلي ، في حين تثير الجدة والدهشة الزائدة على الحد الخوف والقلق ، لقد عرضت على شمباتزي مناظر مثيرة للدهشة ولكنها غير مؤذية (نموذج لرأس شمباتزي دون جسد) ففزعت منها ، وبالمثل يظهر الخوف الشديد لدى الأطفال عند استجاباتهم لمناظر أو أصوات غريبة أو جديدة عليهم كل الجدة .

٤ - الإنجاز والتحصيل : ويرتبط بالنمو المعرفي ارتباطاً وثيقاً ، الدافع إلى الإنجاز والتحصيل فالرغبة في بلوغ الكفاية في النشاط العقلي والاجتماعي تلقى المزيد من الاهتمام في الاتجاهات السائدة في دراسة الشخصية ، ويمكن أن يعتبر الدافع إلى الإنجاز أحد جوانب الشخصية الأكثر ثباتاً ، فالطفل في مرحلة ما قبل المدرسة والذي يناضل من أجل

السيطرة على المهارات المعرفية والعقلية البسيطة يميل إلى توكيد هذا الدافع أيضاً وهو في المرحلة الثانوية والجامعية ، وبالمثل فإن الأولاد والبنات الذين يبدعون حياتهم الدراسية بدوافع قوية نحو التحصيل وبلوغ التقدير يصبحون شباباً يهتمون بالإنجازات العقلية الرفيعة ، وإن كان لكل قاعدة شواذ .

وهناك علاقة بين دوافع الفرد للإنجاز ومستوى ذكائه وقدراته العقلية ، فهناك ارتباط موجب بين درجات الفرد على الدافع للإنجاز ، ودرجاته على اختبارات الذكاء ، وتتأثر درجة دوافع الفرد للإنجاز باستجابات الآخرين لجهوده ، فالأطفال أصحاب الدوافع المرتفعة للإنجاز هم عادة أبناء لآباء من النوع الذى يغذى نوازح الاستقلال عند الطفل وهو في سن مبكرة ، آباء من النوع الذى يغفل الطلب المباشر للمساعدة ، ويشجع أكثر على بذل الجهد لبلوغ السيطرة والوصول إلى الحل الذاتى ، إن البيئة التى تزود الطفل بالفرص اللازمة للقيام بالملاحظة والعمرين على المهارات العقلية . إنما تسمى لديه فرص الإنجازات العقلية وتنمى الشخصية .

التعلم الاجتماعي في نمو الشخصية :

بالإضافة إلى ما تقدم من مواقف وعوامل وجدانية ومعرفية ، فإن التعلم الاجتماعي يلعب دوراً هاماً في نمو الشخصية . فلكي نفهم نمو

الشخصية فهماً واضحاً ، علينا ألا نقف عند حد وصف الروابط الثقافية ، بل نتجاوزها إلى تحليل كيف يكتسب الطفل هذا النمو ، أى إلى معرفة الميكانزمات التى تلعب دورها فى نمو هذه الشخصية . إن الميكانزمات الأساسية للتعلم ، تُعتبر ذات أهمية أيضاً فى فهم نمو الشخصية ، وهناك ميكانزمان للتعلم يحدثان أثرهما ، ونعنى بهما الاقتران الشرطى التقليدى والأدائى .

فى الاقتران الشرطى التقليدى ، فإن ربط المثير الشرطى (المحايد) الذى ليس من طبيعته أن يُحدث الاستجابة بالمثير الطبيعى الذى من طبيعته أن يُحدث الاستجابة ، عدداً كافياً من المرات ، يجعل المثير الشرطى (المحايد) ، يكتسب صفة المثير الطبيعى ، وتصبح له القدرة على إحداث الاستجابة ، أى تغير قيمة المثير المحايد ويصبح قادراً على إحداث الاستجابة ، ومثل هذا الميكانزم قد يحدث اتجاهات ومشاعر إيجابية أو سلبية عند الكائن الحى وفى سياقات عديدة ، فاتجاهات الطفل نحو الإخراج ونمو وظائفه الجسمية ، قد تتأثر بالأحداث الانفعالية الوثيقة الصلة بها ، وإذا حدث ربط مستمر بين وظائف الإخراج ، وخبرات إثارة الخوف (العقاب المؤلم) ، فإن القلق قد يرتبط بمكونات عديدة من وظائف الإخراج .

فالطفل الذى يستشعر الخوف والفشل فى توليئ نفسه وتوسيحها ، قد يصبح قلقاً من الذهاب إلى دورة المياه ، أو قد يرفض الذهاب إليها

ثم إنه بسبب العلاقة الوثيقة بين مجرى البول والشرج وأعضاء التناسل، قد يسهل على الطفل تعميم استجابته لوظائف الإخراج على النشاط الجنسي، وعلى العكس من ذلك يمكن أن تحدث الاتجاهات الإيجابية وتنمو نتيجة الارتباط السليم بين المثريات الشرجية والطبيعية (أو المحايدة والموجية).

وفي التعلم الأدائي، يمكن أن تتعدل أنماط السلوك بتغيير النتائج (التعزيزات) التي تؤدي إليها، فالنتائج التي يحصل عليها الطفل عندما يحاول القيام بسلوك معين، يؤثر في استعداده المقبل لمحاولة القيام بسلوك مماثل، فإذا كانت نوبة الغضب - وليس عدم الاهتمام بها - هي التي تجذب انتباه الأم المشغولة في عمل ما، فإن ثورات الغضب هي التي يحتمل أن يلجأ إليها الطفل ويكررها من أجل جذب انتباه الأم إليه، وإذا كان الطفل يحصل بسهولة على مساعدة الأم وعونها حتى في المواقف السهلة والمشكلات التافهة، فإن الاحتمال الكبير هو أنه حين يتعرض لمشكلة صعبة إلى حد ما أن ينمي العادات الاتكالية القوية لإزاءها. وبالإضافة إلى الميكاتزمين السابحين، فإن الطفل يتعلم وينمي شخصيته أيضاً من خلال عمليات الملاحظة، فن خلال الملاحظة يتعلم العديد من المهارات وألوان السلوك ويكتسب معرفة بالنتائج المحتملة لهذه الألوان من السلوك، وذلك من ملاحظته لما وصل إليه الآخرون. فملاحظة النتائج الإيجابية لسلوك الآخرين - كالحصول على الثناء عند

القيام بسلوك ما ، تميل إلى زيادة احتمال قيام الفرد بمثل هذا السلوك ، وبالمثل عند ملاحظة ألوان العقاب التي وقعت على الآخرين ، نتيجة قيامهم بأفعال معينة ، سوف تجعل الفرد يكف - في الأغلب - عن القيام بمثل هذه الأفعال .

ثم إن التعلم بالتمييز يمثل بجانباً هاماً في عملية التعلم الاجتماعي ، ففي جميع الثقافات تقريباً ، تتطلب النشئة تعليم الطفل العديد من ألوان السلوك المقبولة والمتوقعة تحت ظروف معينة ، وكفها أو توقيع العقاب عليها تحت ظروف أخرى . فالأطفال في جميع الثقافات تقريباً ، يتعلمون خلال السنوات القليلة الأولى ، ضبط عمليات التبول والتبرز ، أى يتعلمون ضبط أنفسهم بمعنى أن يقوموا بهذه العمليات فقط تحت ظروف معينة وفي أماكن معينة ، وليس تحت ظروف أخرى ، وتبعاً لذلك سرعان ما يتعلم الطفل التمييز الدقيق بين المواقف والأماكن المسموح بها ، والمواقف والأماكن غير المسموح بها ، ويبدأ يشكل سلوكه وفق الظروف المضبوطة التي يوجد فيها .

وفي التعلم الاجتماعي ، يركز بعض أصحاب نظريات التعلم على أهمية دور « الثواب » كأسلوب من أساليب تنمية الشخصية ، ولكن للعقاب أو « المثير المنفر » دوره كذلك ، وفي الدراسات العملية التي أجريت على القلق ، كان المثير الطبيعي عادة هو الصدمة الكهربائية والمثير الشرطي صوت أو نغمة متميزة .

إلا أن الأمر ليس بهذه البساطة في المواقف الإنسانية ، فالمثيرات المنفرة تتضمن عادة العقاب الذى يوجه بطرق عدة وبأشكال غير مباشرة فقد ينقل العقاب عن طريق التعبيرات الوجهية أو الكلمات دون استخدام القسوة أو العنف ، ثم إن آثار العقاب الناجمة قد تبدو غريبة جداً ، فالأب الذى حاول قمع العدوان عند ابنه ، هو نفسه الذى يوقع العقاب على الابن ، ويقوم الابن - وفى غياب من الأب - بتقليد هذا العدوان ذاته الذى تجسد فى الأب عندما أوقع عقابه عليه .

ولقد بُدلت جهود عديدة لتقدير أساليب تنشئة الآباء للأبناء واستخدمت أساليب التقدير فى عديد من الدراسات ، وكشفت الوسائل الإحصائية عن وجود أبعاد ، منها : بعد الدفء فى مقابل العدوان والبرود ، فالأم الحنون توصف عادة بأنها متقبلة ، عطوفة ، موافقة ، تفهم وتفسر الأشياء لطفلها ، تستخدم العقل والنظام ، لا تلجأ إلى العقاب البدنى ، تستخدم المديح كأسلوب من أساليب التربية ، أما الأم التى تمثل طرف العدوان والبرود فيفتقر سلوكها إلى دفء العاطفة والحنان .

وثمة بعد آخر : هو الضبط مقابل الاستقلال ، ولهذا البعد مظهران هما : التشديد مقابل التسامح ، والروابط الانفعالية القلقة مقابل الاستقلالية الهادئة ، ومن الممكن أن يكون الأب متشدداً (أومتسامح) وتكون روابطه الانفعالية قلقة هادئة ، وقد درست العلاقات بين

الأنماط المختلفة لسلوك الآباء وشخصيات الأبناء في الكبر .
 إن الأب الحنون المتسامح ، قد يُنشئ أبناءً يختلفون عما تجده لدى
 الأب الحنون ، ولكن يتم سلوكه بالتشديد والحصص ، وبالمثل : فإن
 أبناء الآباء العدوانيين المتشددين قد يختلفون عن أبناء الآباء العدوانيين
 مع التسامح .

والطفل يتعلم من مصادر متعددة كالوالدين والإخوة وزملاء اللعب
 وزملاء المدرسة والمعلمين ، ويُحدث هؤلاء أثرهم في مواضع كثيرة من
 حياة الطفل ، وفي مراحل العمر المختلفة ، ويتوقف هذا التأثير على
 متغيرات كثيرة مثل : سن الفرد ، وجنسه ، ومركزه الاجتماعي -
 الاقتصادي داخل ثقافته الخاصة .

إن نمو الشخصية وما يطرأ عليها من تغيرات ، لا يتوقف عند مرحلة
 الطفولة المبكرة ، بل يستمر خلال حياة الفرد ، وبرغم تركيز علم النفس
 عامة على السنوات الأولى من حياة الفرد فإن النمو لا يتوقف عند هذا
 الحد ، فالخبرات المبكرة للطفل ، ومساهماته المتزايدة في النشاط
 والعلاقات خارج نطاق المدرسة ودوافعه الجنسية في المراهقة ونموه العقلي
 ونجاحه وفشله في الدراسة والعمل ومخاطراته والأزمات التي تمر به في
 علاقاته بالآخرين ، تسهم جميعها في تشكيل شخصية الفرد ، وتجعله
 يستمر في الصيرورة والنمو .

لقد ركزت نظرية التحليل النفسي الانتباه على السنوات الخمس

الأولى من حياة الفرد ، ولكن الصياغات الحديثة أدركت أهمية التحديات والأزمات التي تمر بالفرد عبر الحياة ، وأحد هذه الدلالات ، الاهتمام الزائد « بأزمة الهوية » في المراهقة والرشد التي أشار إليها « أريكسون » بوضوح .

ان تبني أدواراً جديدة متنوعة في المراهقة والرشد . . اجتماعية كانت أو أسرية أو اقتصادية تتضمن الدخول في علاقات جديدة مختلفة تؤدي إلى نتائج جديدة تحدث بدورها تغييراً في الفرد .

وعندما يصبح الفرد أباً ، أى عندما يصبح موضوع التطبيع الاجتماعي أحد أدواته ، فإنه ينقل إلى أبنائه قيم وأنماط السلوك التي أصبحت قيمة ، إن مسؤوليات وتحديات وأزمات الفترة الوسطى من حياة الفرد ، تُغير وبالتدرّج ، من تلك التي تطرأ على الفرد مع تقدم السن به ، ومع حدوث هذه التغيرات ، تظهر مرة أخرى مشكلات وتحديات وأزمات وخبرات جديدة تُحدث أيضاً أثرها في الفرد ، وهكذا يسير الحال ، تفاعل متبادل مستمر بين الفرد والأحداث ، يؤدي إلى تعديل الواحد أو الآخر أوهما معاً إلى أن تنتهي الحياة .

صدر من هذه السلسلة :

- ١ - طعام الفهم والروح والعقل
 - ٢ - الفضاء ومستقبل الإنسان
 - ٣ - شريعة الله وشريعة الإنسان
 - ٤ - أسس التفكير العلمي
 - ٥ - عالم الحيوان
 - ٦ - تاريخ التاريخ
 - ٧ - الفلسفة في مسارها التاريخي
 - ٨ - حواء وبناتها في القرآن الكريم
 - ٩ - علم التفسير
 - ١٠ - المسرح الملحى
 - ١١ - تاريخ العلوم عند العرب
 - ١٢ - شلل الأطفال
 - ١٣ - الصهيونية
 - ١٤ - البطولة في القصص الشعبي
 - ١٤م - عيون تكشف المجهول
 - ١٥ - الحصار
 - ١٦ - أيامى على هوا
 - ١٧ - المساواة في الإسلام
 - ١٨ - القصة القصيرة
 - ١٩ - عالم النبات
 - ٢٠ - العدالة الاجتماعية في الإسلام
 - ٢١ - السينا فن
 - ٢٢ - قناصل الدول
- توفيق الحكيم
د . فاروق الباز
المستشار على منصور
د . زكى نجيب محمود
د . محمد رشاد الطولى
على أدهم
د . توفيق الطويل
أمينة الصاوى
د . محمد حسين الذهبى
د . عبد الغفار مكاوى
د . أحمد سعيد الدمرداش
د . مصطفى الديوانى
فتحى الإيبارى
د . نبيلة إبراهيم سالم
د . محمد عبد الهادى
د . أحمد حممدى محمود
سلوى العناني
د . محمد بديع شريف
د . سيد حامد النساج
د . مصطفى عبد العزيز مصطفى
أنور أحمد
صلاح أبو سيف
أحمد عبد الحميد

- ٢٣ - الأدب العربي وتاريخه
٢٤ - الكتاب والمكتبة والقارئ
٢٥ - الصحة النفسية
٢٦ - طبيعة الدراما
٢٧ - الحضارة الإسلامية
٢٨ - علم الاجتماع
٢٨م - روح مصر في قصص السباعي
٢٩ - القصة في الشعر العربي
٣٠ - العمارة الإسلامية
٣١ - الغلاف الجوى
٣١م - محمود حسن إسماعيل
٣٢ - التاريخ عند المسلمين
٣٣ - الخلق الفنى
٣٤ - البوصيرى المادح الأعظم للرسول
٣٥ - التراث العربى
٣٦ - العودة الى الإيمان
٣٧ - الصحافة مهنة ورسالة
٣٨ - يوميات طبيب في الأرياف
٣٩ - السلام وجائزة السلام
٤٠ - الشريعة الإسلامية
٤١ - ثقافة الطفل العربى
٤٢ - اللغة الفارسية
٤٣ - حضارتنا وحضارتهم
٤٤ - الأمثال الشعبية
٤٥ - التعريف بالاقتصاد
٤٦ - المستوطنات اليهودية
- د . أحمد الحوفى
حسن رشاد
د . سلوى الملا
د . إبراهيم حادة
د . على حسنى الخريوطلى
د . فاروق محمد العادلى
حسن محسب
ثروت أباطة
د . كمال الدين سامح
د يوسف عبد المجيد فايد
د . عبد العزيز الدموق
محمد عبد الغنى حسن
د . مصرى عبد الحميد حنوره
عبد العال الحامصى
عبد السلام هارون
أحمد حسن الباقورى
د . خليل صابات
د . الدمرداش أحمد
عثمان نويه
المستشار عبد الحليم الجندى
جمال أبو رية
د . محمد نور الدين عبد المنعم
د . عبد المنعم الثمر
محمد قنديل البقلى
د . حسين عمر
حسن فؤاد

- ٤٧ - بدر والفتح محمد فرج
- ٤٨ - الفلسفة والحقيقة د. عبد الحليم محمود
- ٤٩ - الطب النفسي د. عادل صادق
- ٥٠ - كيف نفهم اليهود د. حسين مؤنس
- ٥١ - الفن الإذاعي د. فوزية فهم
- ٥٢ - الكتابة العربية محمد شوق أمين
- ٥٣ - مرض السكر د. أحمد غريب
- ٥٤ - شوق أمير الشعراء ... لماذا؟ فتحي سعيد
- ٥٥ - الفلسفة الإسلامية د. أحمد عاطف العراقي
- ٥٦ - الشعر في المعركة حسن النجار
- ٥٧ - طه حسين يتكلم سامح كرم
- ٥٨ - الإعلام ولغة الحضارة د. عبد العزيز شرف
- ٥٩ - تاجور شاعر الحب والحكمة علي شلش
- ٦٠ - كوكب الأرض د. فرخنده حسن
- ٦١ - السير الشعبية فاروق خورشيد
- ٦٢ - التصوف عند الفرس د. إبراهيم شتا
- ٦٣ - الرومانسية في الأدب الفرنسي د. أمال فريد
- ٦٤ - القرآن وحياتنا الثالثة محمود بن الشريف
- ٦٥ - التعبيرية في الفن التشكيلي د. نعم عطية
- ٦٦ - ميراث الفقراء فؤاد شاكر
- ٦٧ - العارة والبيئة المهندس حسن فتحي
- ٦٨ - قادة الفكر الاقتصادي د. صلاح نامق
- ٦٩ - المسرح الغنائي العربي محمود كامل
- ٧٠ - الله أم الطبيعة د. يوسف عز الدين عيسى
- ٧١ - بحر الهواء الذي نعيش فيه د. مدحت إسلام
- ٧٢ - الأدب الفرنسي في عصر النهضة د. رجاء ياقوت

- ٧٣ - الحرب ضد التلوث
- ٧٤ - القصة والمجتمع
- ٧٥م - محمود أبو الوفا
- ٧٦ - العسكرية الإسلامية
- ٧٧ - النفايات النووية
- ٧٨ - الإعلام والتقدم التقني
- ٧٩ - المسرح الأمريكي
- ٨٠ - زحف الصحراء
- ٨١ - مشاكل الطفل النفسية
- ٨٢ - الأدب التركي
- ٨٣ - مضادات الحيوية
- ٨٤ - الرواية الإنجليزية
- ٨٥ - الضحك فلسفة وفن
- ٨٦ - الاستشارات الأجنبية
- ٨٧ - لغتنا الجميلة
- ٨٨ - الحرب عند العرب
- ٨٩ - لتلا نحتف البكاء
- ٩٠ - الإسلام وروح العصر
- ٩١ - التراث الشعبي
- ٩٢ - علم المنطق
- ٩٣ - القلب وتصلب الشرايين
- ٩٤ - فن الخزف
- ٩٥ - الإعجاز القرآني
- ٩٦ - سفراء النبي
- ٩٧ - ساعة مع القرآن العظيم
- ٩٨ - لغة الصحافة المعاصرة
- رجب سعد السيد
- يوسف الشاروني
- فتحى سعيد
- لواء / جمال الدين محفوظ
- د . محمد عبد الله يومي
- د . أحمد المغازي
- د . عبد العزيز حمودة-
- د . محمد فتحى عوض الله
- د . كلير فهم
- د . حسين مجيب المصري
- د . محمد صادق صبور
- د . إنجيل بطرس
- جلال العشري
- د . عبد الواحد الفار
- فاروق شوشة
- د . عيد الرحمن زكي
- نشأت التظلي
- د . حسين فوزي النجار
- د . عبد الحميد يونس
- د . محمد مهران
- د . رجب عبد السلام
- سعد الخادم
- د . محمد أحمد العرب
- د . مختار الوكيل
- د . عبد العظيم المطعني
- د . محمد حسن عبد العزيز

- ٩٩ - الكيمياء الصناعية
١٠٠ - الدراما الأفريقية
١٠١ - وكالات الأنباء
١٠٢ - الحدودية والحكاية الشعبية
١٠٣ - ألف باء السياسة
١٠٤ - تطور الشعر في الغناء العربي
١٠٥ - الحرب الإلكترونية
١٠٦ - البطل في القصة المصرية
١٠٧ - عجائب الحشرات
١٠٨ - الإذاعة خارج الحدود
١٠٨م - مصر الخضراء
١٠٩ - القانون الطبيعي وقواعد العدالة
١١٠ - فن التصوير السينمائي
١١١ - الطساقة
١١٢ - الفن والمرأة
١١٣ - نظام الحكم في الإسلام
١١٤ - رحلتي مع الرواية
١١٥ - التلطور
١١٦ - الأدب والمواطن
١١٧ - آفاق جديدة في التعلم
١١٨ - الفن القبطي
١١٩ - اجتماعيات التنمية
١٢٠ - المسرح الشامل
١٢١ - رسائل إخوان الصفا
١٢٢ - الرمزية الصوفية في القرآن
١٢٣ - الحب في الشعر الفارسي
- د . محمد الخلوجي
د . علي شلش
شفيق عبد اللطيف
محمد فهمي عبد اللطيف
د . أحمد حمدي محمود
غطاس عبد الملك
عبد مباحر
حسن محسب
د . محمد طلعت الأبراشي
أنور شتا
د . فاروق الباز
عبد السميع المراري
أحمد الحضري
د . محمد فتحي عوض الله
شريفة فتحي
د . مصطفى كمال وصفي
فتحي أبو الفضل
د . منى فريد
عباس خضر
د . طلعت حسن
د . باهر لبيب
د . محمود الكردى
أحمد زكي
د . علي السكري
د . سيد عبد التواب
د . عفاف زيدان

- ١٢٤ - الإنسان والعلم
١٢٥ - نظرات في القصة القصيرة
١٢٦ - القراءة أساطين الطب
١٢٧ - كهف الحكم
١٢٨ - فنون الرجل
١٢٩ - للألبان فلسفة وأسرار
١٣٠ - الدراما اليونانية
١٣١ - الأسرة في الدين والحياة
١٣٢ - الأدب والحضارة
١٣٣ - الجراحة علم وفن
١٣٤ - علم النفس والجريمة
١٣٥ - فن المقال الصحفي
١٣٥م - النقد الفني
١٣٦ - الإخراج السينمائي
١٣٧ - فلسفة الجمال
١٣٨ - النظام المالي في الإسلام
١٣٩ - الفن التأثري
١٤٠ - الكيمياء عند العرب
١٤٠م - الشخصية بين الحرية والعبودية
١٤١ - الأزياء الشعبية
١٤٢ - زدنّي يافضيلة الشيخ
١٤٣ - الدراما الروسية
١٤٤ - حيوانات ما قبل التاريخ
١٤٥ - النقد السينمائي
١٤٦ - الصحافة العسكرية
١٤٦م - كأس العالم
- د . عبد العزيز أمين
حسين القباني
محمد عبد الحميد بسيوني
فتحى العشرى
محمد قنديل البقلى
د . مصطفى الديوانى
كمال ممدوح حمدى
المستشار محمد عبد الفتاح الشهاوى
د . نعامت أحمد فؤاد
د . عوض الدحة
المستشار محمد فتحى
د . عبد العزيز شرف
د . نبيل راضب
د . فاروق الرشيدى
د . أميرة حلمى مطر
د . إبراهيم فؤاد أحمد
صبحى الشارونى
د . مدحت إسلام
فؤاد كامل
سعد الحادام
صلاح منتصر
د . فوزى فهمى
د . عبد الهادى أحمد
خميس خياطى
محمد عبد الحميد
عادل شريف

شبابك

هذا الكتاب

ماذا عن الشخصية ومكوناتها وعمودها ،
وما يظن أنها عليها من تغيرات لا تتوقف عند
مرحلة الطفولة المبكرة بل تستمر خلال حياة
المرء ؟

إن هذا الكتاب يجب أن يساهم في
كثير من هذه التساؤلات حول الشخصية من
وجهة النظر النفسية

توزيع المؤسسة
١٩٥٥ م